النظرات الماتعة

في سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

تأليف

مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني

الأستاذ المشارك في قسم علوم الحديث

بكلية الحديث والدراسات الإسلامية بالمدينة

النظرات الماتعـــة في سورة الفاتحـــة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزهراني، مرزوق بن هياس آل مرزوق.

النظرات الماتعة في سورة الفاتحة / مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ

١٣٢ ص ؛ ٢١ × ١٤ سم (رسائل دعوة وتوجيه؛ ٦)

ردمك: ٤ - ٨٩٨ - ٤٦ - ٩٩٦٠

١ - القرآن - التفسير الحديث ٢ - القرآن سورة الفاتحة تفسير.

أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٢٧٧,٦ ١٤٢٥/٦٥٦٤

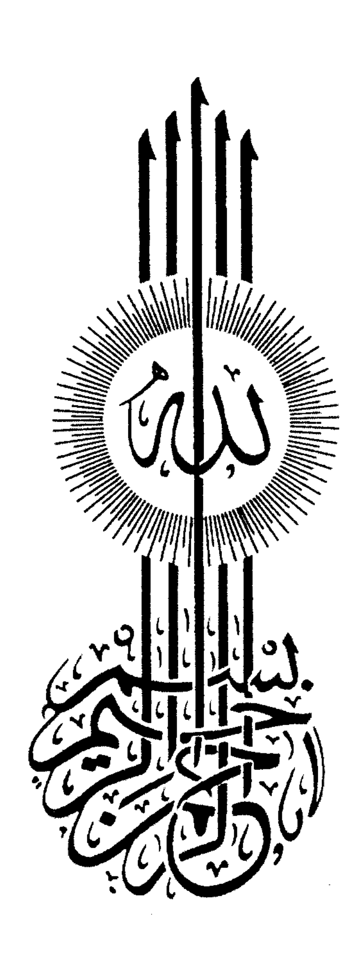
رقم الإيداع: ١٤٢٥/٦٥٦٤

ردمك: ٤ - ٨٩٨ - ٤٦ - ٩٩٦٠

الطبعة الثانية

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

الناشر: المؤلف جوال: ٠٥٠٥٣٠٦٣٠٤


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

النظرات الماتعة
في سورة الفاتحة

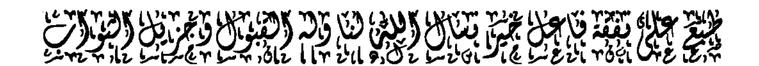
تأليف

مرزوق بن هيّاس آل مرزوق الزهراني

الأستاذ المشارك في قسم علوم الحديث

بكلية الحديث والدراسات الإسلامية

بالمدينة النبوية



ثمنه قراءته



الإهـــداء

إلى كل مؤمن ومؤمنة، وكل مسلم ومسلمة، في أرجاء المعمورة.

الذين آمنوا بالله ربا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وبالإسلام دينا، يعبدون الله ﷻ وفق ما جاء به رسوله ﷺ، عقيدة وأحكاما وسياسة وحكما.

أقدم هذا الجهد، من خلال نظرات ماتعة، وتأملات واسعة، في سورة الفاتحة، بغية أن يتأملوا ما ورد فيها من الفهم النظري، ويعملوا ما تقرر من الجانب العملي، كيما يسعدوا في الدنيا والآخرة.

سائلا الله ﷻ أن يجعل عملي له خالصا، وسعيي فيه سعيا مشكورا، وأن يجعل خطئي مغفورا، ولا يحرمني ووالديّ أجره يوم الدين، ولا يحرم الأجر من أعان عليه نفقة وطباعة وتوزيعا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾[1]

المؤلف.

---

[1] الآيتان (٨٨، ٨٩) من سورة الشعراء.

منهج البحث

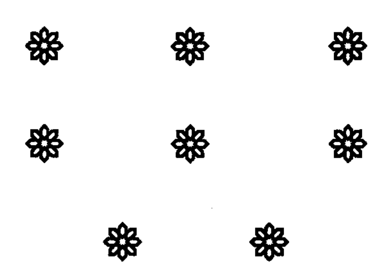
قبل تحديد خطوات البحث تجدر الإشارة إلى أن هذه هي الطبعة الثانية لهذا السفر القيم، فقد كانت الطبعة الأولى في سنة (١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م) وقد لقيت رغبة من المطالعين لها، وتواردت إليّ العديد من طلبات التزويد بها، بل طلب البعض من خارج المملكة السماح له بطباعتها، وقد أذنت بشرط الوقفية وعدم البيع، ولما تزايد الطلب أخبرت بعض من أعرف من أهل الخير، فحقق الرغبة لنا ولإخواننا المسلمين، أثابه الله وأحسن لنا وله العاقبه.

ثم أنبه أنني سأقتصر في المنهج على ما يلي:

في توثيق المعلومات على **(جامع البيان في تأويل القرآن)** للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري إمام المفسرين، فهو عمدة من جاء بعده، فالذين كتبوا التفسير بعد ابن جرير رحمه الله هم حول ما روى، أو دون بقلمه يدندنون، وعلى ما في تفسيره يعتمدون، ويليه في الأهمية **(الجامع لأحكام القرآن)** تفسير الإمام القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، فإنه أجاد استخراج المسائل فهو في نظري التفسير الثاني بعد **(جامع البيان)** وما دعت إليه الحاجة في قضايا محدودة فما كان في غيرهما من أمر يلزم تدوينه لأهميته في

البحث، وتوثيق المعلومات، فلن أغفله وبمصدره أوصله.

لم أشتغل ببحث القضايا اللغوية، كاشتقاق الأسماء، واختلاف القراءات ومعانيها، والأبلغ منها، وأقوال العلماء واختلافهم في المسائل، من أجل عدم إشغال القارئ بأمور لا يدرك دقتها إلا المتخصص، فراعيت حال القراء وما هم محتاجون إلى معرفته، أما الباحث الناقد المتخصص فله مراجعة المصادر، وإمعان النظر فيما دونه الأئمة، من دقائق وملاحظات لغوية وبلاغية ومناقشات، وردود على بعضهم في المسائل الخلافية.



المقــدمه

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ ﴾[1] والصلاة والسلام على البــشير النذير الذي جلب بإذن ربه لأمته الخير الكثير، وحذرها من الشر والتدمير ﷺ وعلى آلــه وأصــحابه وأتباعــه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه محمــد ﷺ همــا صراط الله المستقيم، من اعتصم بهما نجا، ومن خالفهما هلك، يزداد كل مؤمن بهديهما بصيرة، ومن ابتعد عنهما زاد عماه وكثر تدميره.

وإن من فضل الله ﷻ على هذه الأمة أن جمعها علــى تلاوة قدر عظيم من كلامه في كل يوم سبع عشرة مرة تلاوة واجبة وذلك فيما فرض على عباده من الصلوات الخمس في اليوم والليلة.

إنها سورة الفاتحة السورة العظيمة المشتملة على معاني الخير والبركة، فكان لزاما على كل مسلم أن يعلــم مــا فيها من الخير، فيستزيد من تلاوتها بإضافة مــا حــث عليه رسول الله ﷺ من المحافظة على الــسنن الراتبــة

---

[1]) الآية (١) من سورة الكهف.

المجموعة في ثلاث عشرة ركعة في اليوم والليلة ، فإذا ما استوعب العابد فضلها ومناجاة ربه بها قام بها ماشاء الله من الليل، واستن بها في صلاة الضحى، وغير ذلك من القربات كتحية المسجد وركعتي الطواف، وصلاة الجنازة، وصلاة العيدين، إنها أم الكتاب تقود العبد إلى معرفة الثناء على الله ﷻ، وفضله على عباده، وتوحيده بأسمائه وصفاته في عبوديته والاستعاذة به، والاعتصام به بطلب الهداية والبعد عن الضلال، وما يوجب غضبه، سبحانه وتعالى.

فهاهي الفاتحة قليلة الألفاظ واسعة الدلالة، عظيمة المعاني ، شافية كافية، رمت تقديمها لكل مسلم ومسلمة في أسلوب رصين يكشف عن بعض لطائفها وعظيم قدرها، وسعة دلالتها ، إنها جنة كل مؤمن ومؤمنة، وهي نار حارقة لجميع العصاة ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1].





[1]) الآية (٧٠) من سورة الفرقان.

سبب اختيار البحث

لما قال الله ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1] دلَّ على أمر المؤمنين بقراءة الفاتحة على نحو ما سلف بيانه إن ذلك تطبيق عملي لما يجب أن يكون عليه وضع المسلمين تجاه كل آية من كتاب الله ﷻ، فحبل الله هو كلامه الذي أنزله على عبده ورسوله نبينا محمد ﷺ لهذا شغفت بالكتابة عن هذا المثال الحي الذي اجتمع على العمل به كل من آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وقد علم كل فرد منهم أن صلاته لا تقبل إلا بتلاوة هذه السورة العظيمة وتدبر ما فيها من الدلالة والخير، إلا من عذر يعفيه من ذلك، فكان هذا أمرا باعثا على جمع

---

[1]) الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.

ما ورد فيها من المقاصد والدلالة، وبسطها لعباد الله الصالحين، **هذا أولا.**

أما الأمر الثاني:

فلأن الله ﷻ امتن بالفاتحة على عبده ورسوله نبينا محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1] فجعلها قسيمة لبقية السور، وكان الأمر كذلك لأنها جمعت أقسام القرآن وحوتها.

الأمر الثالث:

إن معرفة معانيها ودلالاتها من العلم الضروري الذي يجب على كل مسلم أن يلم به كيما تصح صلاته وعقيدته ودعاؤه، وثناؤه على ربه ﷻ، واستشفاؤه بهذه السورة العظيمة، المباركة والقرآن كله عظيم مبارك عظيم.

الأمر الرابع:

إنها تدريب عملي على اجتماع المسلمين على الحق، ومن هذا المثال وجب عليهم أن يكونوا موحدين لله ﷻ بالعبادة، فالفاتحة تدعوهم إلى رب واحد هو معبودهم لا معبود بحق سواه.

والذي جاء بها هو محمد ﷺ فوجب أن يوحدوه في القدوة وفي الاتباع، وأن لا يخالفوا أمره، ولا يتجاوزوا

---

[1]) الآية (٨٧) من سورة الحجر.

نهيه ﷺ، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[1] وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[3]
والفاتحة حددت لهم المنهج العملي من خلال دلالاتها ومعانيها فوجب أن يكون منهجهم واحداً كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ

---

[1]) الآية (٧) من سورة الحشر.
[2]) الآية (٦٣) من سورة النور.
[3]) الآية (٦٥) من سورة النساء.

ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] وقال تعالى: وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2].

ومن البواعث على هذا البحث أنني طالعت ما كتبه حول الفاتحة بعض الفضلاء، فألفيت أن الفاتحة لازالت مشرعةً أبوابها للمزيد من البحث والدراسة، ولا أدعي الكمال فيما قمت به من عمل ولكن
قدمت بعض ما وقفت عليه من كلام أهل العلم، ورمت الاختصار، فتجنبت الغوص، واكتفيت بالإبحار في لجج المعرفة والنصوص والأخبار، فاقتطفت ما تيسر من الثمار، وقدمتها للمسلمين من القارئين النظار، والسامعين الأخيار، رجاء أن ينتفعوا بها ويكونوا من الأبرار، بإذن الله الواحد القهار.

النظرة الأولى
حول سورة الفاتحة

الفاتحة مستهل كتاب الله العزيز، أنزلت بمكة على القول الراجح، عظّم الله شأنها، وخص بها نبيه ورسوله محمداً ﷺ وأمته، أوجز فيها ما فصله في القرآن العظيم.

---

[1]) الآية (٣) من سورة المائدة.
[2]) الآية (٤٤) من سورة المائدة ، وفي التي بعدها (الظالمون) وفي (٤٧) الفاسقون.

آياتها سبع، وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة وعشرون حرفا[١] تضمنت جميع علوم القرآن الكريم[٢] أسماؤها كثيرة، ذكر الفيروز آبادي أنها قريبة من ثلاثين[٣] وقال القرطبي: اثنتان وعشرون[٤] وقال الألوسي: لهذه السورة الكريمة أسماء، أوصلها البعض إلى نيف وعشرين[٥].

النظرة الثانية
لماذا تعددت أسماء الفاتحة؟

تنوعت أسماء الفاتحة بحسب تنوع ما فيها من الدلالة، وما فيها من الفضل، وما اشتملت عليه من المقاصد، وما فيها من البركة والخير، وبيان ذلك على النحو التالي:

---

[1]) وللعلم فإن الفاتحة لا تشمل سبعة أحرف وهي (ث، ج، خ، ز، ش، ظ، ف) أنظر: (روح المعاني ١/٣٦).

[2]) انظر: (الجامع لأحكام القرآن ١/١١٠).

[3]) انظر: (بصائر ذوي التمييز ١/١٢٨).

[4]) انظر: (الجامع لأحكام القرآن ١/١١١).

[5]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٣٤).

سميت الفاتحة: لأنها يفتتح بكتابتها المصاحف، ويقرأ بها في الصلوات فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن، في الكتابة والقراءة[١].

سميت أم القرآن: لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، في القراءة والكتابة[٢].

وهي أم الكتاب لأن أم الشيء: أصله وعماده كما سميت مكة؛ أم القرى لأنها توسطت الأرض[٣].

وهذا ليس زعماً، فقد ثبت علميا في عصرنا هذا، والفاتحة لا شك أنها أم الكتاب (**القرآن**) لأنها جمعت ما فصل فيه، وقد ثبت في الصحاح تسميتها بذلك[٤] ونقل القرطبي كراهة ذلك عن أنس والحسن وابن سيرين، والجمهور على الجواز؛ وإذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ فلا عبرة بقول غيره[٥].

سميت السبع المثاني: لأن جميع القراء والعلماء لم يختلفوا على أنها سبع آيات، ولكونها المثاني التي امتن

---

[1]) جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن (١/١٠٧ـ ١٠٩) انظر: (تفسير الفاتحة والبقرة للسمعاني١/٣٥١ـ ٣٥٣) ومعالم التنزيل (١/٣٧) وغيرها من التفاسير التي ارتكزت على ما عند إمام المفسرين الطبري .

[2]) جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن (١/١٠٧).

[3]) ترتيب القاموس (١/١٧٩).

[4]) انظر صحيح مسلم (١/٢٩٦ رقم ٣٩ـ٤١) وروح المعاني في تأويل القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٣٥).

[5]) أنظر: (الجامع لأحكام القرآن١/١١١).

الله ﷻ بها على عبده ورسوله محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1] كما فسرها الإمام الحسن البصري رحمه الله بذلك، ووصف رسول الله ﷺ آياتها السبع بأنهن مثان، فلأنها تثنى قراءتها في كل صلاة تطوعا أو مكتوبة[2] وعلل مجاهد رحمه الله هذه التسمية: بأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة، كأنه أوحاها لهم ولم يعطها أحداً من الأمم[3] ومعلوم أن هذه السورة العظيمة تثنى قراءتها في كل ركعة وتثنى في كل صلاة فالتثنية مضاعفة.

قال أبو جعفر الطبري: وليس في وجوب اسم (**السبع المثاني**) لفاتحة الكتاب ما يدفع صحة وجوب اسم (**المثاني**) للقرآن كله، لأن لكل وجها ومعنى مفهوما[4]

---

[1]) الآية (٨٧) من سورة الحجر، وانظر جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن (١/١٠٩) منه حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم) أخرجه الإمام البخاري، حديث (٤٧٠٤) وأخرجه الطبري بسند صحيح (جامع البيان ١/١٠٧).

[2]) جامع البيان عن وجوه تأويل القرآن (١/١٠٩).

[3]) تفسير الفاتحة والبقرة للسمعاني (١/٣٥٣) وانظر: (الكشاف ١/٤).

[4]) جامع البيان (١/١١٠) باختصار.

قلت: كقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾[1] أطلق الله ﷻ هذا على كتابه، لأن الأخبار تثنى فيه[2].

سميت الوافية: لأنها لا تتنصف، فلا يجوز أن يُقرأ نصفها في ركعة والنصف الآخر في ركعة أخرى، وهذه خصوصية الفاتحة فهي لا تقبل التنصيف ولا الاختزال بخلاف بقية سور القرآن فإن ذلك جائز فيها[3].

سميت الكنز: لقوله ﷺ: (**إنها أنزلت من كنز تحت العرش**)[4].

ويدخل في مسمى (أم الكتاب، أم القرآن) قول من سماها (الأساس) جاء ذلك من قول الشعبي رحمه الله لما شكا إليه رجل وجعا بخاصرته: عليك بأساس القرآن، فاتحة الكتاب، سمعت ابن عباس يقول: لكل شيء أساس،

---

[1]) الآية (٢٣) من سورة الزمر.

[2]) انظر: (الجامع لأحكام القرآن١/١١٤).

[3]) قاله سفيان بن عيينة في تفسيره، نقل عنه القرطبي (الجامع لأحكام القرآن١/١١٣).

[4]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/٩) والحديث أخرجه إسحاق بن راهويه ـ كما في الدر المنثور (١/١٦) ـ عن علي ﷺ وعزاه المتقي في الكنز (٢/٢٩٧) رقم (٤٠٥٠) إلى إسحاق والواحدي، وقد أورد البوصيري إسناد إسحاق في إتحاف الخيرة (١/٥) وفيه انقطاع بين فضيل بن عمرو، وعلي ﷺ، وله شواهد تقويه، عن أبي أمامة، وأنس، وعلي، ومعقل بن يسار ﷺ (موسوعة فضائل سور وآيات القرآن١/٢٤-٢٦).

وأساس الدنيا مكة لأن منها دحيت[1] وأساس السموات (عريباً) وهي السماء السابعة، وأساس الأرض (عجيبا) وهي الأرض السابعة السفلى، وأساس الجنان (جنة عدن) وهي سرّة الجنان عليها أسست الجنة، وأساس النار (جهنم) وهي الدركة السابعة السفلى، عليها أسست الدرجات، وأساس الخلق (آدم) وأساس الأنبياء (نوح) وأساس بني إسرائيل (يعقوب) وأساس الكتب (القرآن) وأساس القرآن (الفاتحة) وأساس الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم) فإذا اعتللت أو اشتكيت، فعليك بالفاتحة تُشفى[2] وذكره السيوطي مختصرا فقال: وأخرج الثعلبي عن الشعبي أن رجلا شكا إليه وجع الخاصرة[3] فقال: عليك بأساس القرآن، قال: وما أساس القرآن؟، قال: فاتحة الكتاب[4].

---

[1]) وها نحن نسمع اليوم من علماء الجغرافية والمساحات: أن الكعبة هي نقطة الارتكاز لدائرة الأرض (الكعبة مركز العالم ص٢٠٤).

[2]) لم يجزم الفعل لأن الطلب جاء باسم الفعل (عليك) وشرط جزم جواب الطلب أن يكون الطلب بالفعل، وانظر: (الجامع لأحكام القرآن ١/١١٣).

[3]) الخاصرتان: جانبا البطن مما يلي الظهر، قال ابن الأثير: قيل: إنه وجع الكليتين (النهاية ٢/٣٧).

[4]) الدر المنثور (١/١٢).

الحق أن الفاتحة رقية كلها، خلافا لمن قصرها على قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾.

سميت سورة الحمد والشكر والدعاء، وتعليم المسألة: لاشتمالها عليها[1] وقد تضمنت معاني هذه الألفاظ أفضل ما يكون به الثناء، وأصدق ما يكون الطلب.

سميت الصلاة: لوجوب قراءتها فيها[2].

أما قول الزمخشري: لأنها تكون فاضلة أو مجزئة فيها[3] فأقول: هي فاضلة في الصلاة وغيرها، والصواب ما تقدم؛ لأنها ركن في الصلاة، فلا تصح الصلاة إلا بقراءتها، قال ﷺ: **(لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)**[4] وفي القدسي: **(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي)**[5] والمراد بالصلاة الفاتحة، عندما يقرؤها العبد في الصلاة وغيرها.

---

[1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/٩) وانظر: روح المعاني (١/٣٥).

[2]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/٩) ولأن الله سماها صلاةً في الحديث القدسي.

[3]) الكشاف (١/٤).

[4]) أخرجه الإمام البخاري، حديث (٧٥٦).

[5]) أخرجه الإمام مسلم، حديث (٣٩٥).

سميت الشفاء والشافية: لقول الرسول ﷺ: (**هي شفاء من كل داء**)[1].

سميت القرآن العظيم: ذكره القرطبي وعلله بقوله: لتضمنها جميع علوم القرآن[2] وفي نظري أن تستمد هذه التسمية من حديث أبي سعيد بن المعلى عند الإمام البخاري، أخرج الإمام البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: مر بي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت، فقال: (**ما منعك أن تأتي؟**) فقلت: كنت أصلي، فقال: (**ألم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾**[3] ؟، ثم قال: **ألا أعلمك أعظم سورة في**

[1]) أخرجه الدارمي (٢/٣٢٠) مرسلاً من حديث عبد الملك بن عمير، ويمكن أن يكون سمعه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فإنا نظرنا في التأريخ وفيه إمكان السماع، لكن تكلم فيه الأئمة، ولا أرى رتبته إلا أقل مما قدّر له الحافظ في التقريب فإنه قال: ثقة، وجاء في تفسير القرطبي قوله: روى الدارمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فاتحة الكتاب شفاء من كل سم). قلت: الذي عند الدارمي (من كل داء) واللفظ المذكور هو حديث أبي سعيد الخدري كما في شعب الإيمان للبيهقي٢/٤٥٠ انظر (الجامع لأحكام القرآن ١/١١٢).

[2]) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٢).

[3]) الآية (٢٤) من سورة الأنفال، ومن هذا يستفاد وجوب الاستجابة لنداء رسول الله ﷺ في حياته، وقطع ما يعوق الإجابة

القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟، فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكرته فقال: **(الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)**[1] أي في الآية ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[2] وجعلها قسيمة للقرآن يكون أبلغ.

سميت الرقية، أخذا من قول رسول الله ﷺ للرجل الذي رقى سيد الحي: **(وما يدريك أنها رقية؟)**[3].

سميت الكافية: لأنها تكفي عن سواها، ولا يكفي سواها عنها قال رسول الله ﷺ: **(أم القرآن عوض عن غيرها،**

ولو كان العائق عبادة، وبعد موته ﷺ تكون الاستجابة لأمره ونهيه.

[1]) أخرجه الإمام البخاري، حديث (٤٤٧٤، ٤٧٠٣).

[2]) سورة الحجر آية (٨٧).

[3]) ذكر القرطبي من أسمائها الرقية وهي داخلة في اسم الشافية، وقد ثبتت الرقية بها من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي رقى بها سيد الحي: (ما أدراك أنها رقية؟) استفهام تقرير، والحديث أخرجه الإمام البخاري، حديث (٢٢٧٦) وانظر أطرافه هناك، وانظر الجامع لأحكام القرآن (١١٣/١).

وليس غيرها منها عوضاً)[1] ألا ترى أنك إذا لم تقرأ في الصلاة إلا الفاتحة أجزأ ذلك وصحت الصلاة، ولو تركت الفاتحة وقرأت بدلا عنها سورة من المطول لم يجز ذلك ولم تكن الصلاة صحيحة، ولا تعارض بينه وبين حديث المسيء صلاته، فإن قوله ﷺ: **(واقرأ ما تيسر معك من القرآن)** مفسر بأن المراد به ما زاد عنها في الامتنان، وإن كان الامتنان حاصلا بها وحدها لاشتمالها على ما ذكر، فكأن الله ﷻ امتن بها من

---

[1]) الجامع لأحكام القرآن (١/١١) والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٢٣٨) وقال رواة هذا الحديث أكثرهم أئمة وكلهم ثقات.

هذا رأي الحاكم كما أسند الحافظ بن حجر في لسان الميزان عنه أنه قال: محمد بن خلاد الاسكندراني ثقة، وكذلك وثقه العجلي (تاريخ الثقات٤٠٣) وذكره بن حبان (الثقات٩/٨٥) قال ابن حجر: قلت: انفرد بهذا الخبر من حديث عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعا اللسان٥/١٥٦).

وقد أعل الدارقطني هذا الحديث بتفرد محمد بن خلاد به عن أشهب عن ابن عيينة (انظر الإتحاف٦/٤٢٩).

وقال ابن حجر: وقول الذهبي لا يدري من هو، مع من روى عنه من الأئمة ووثقه من الحفاظ عجيب، وما أعرف للمؤلف سلف في ذكره في الضعفاء ... ثم قال: هذا اللفظ تفرد به زياد بن أيوب ــ وهو ثقة ــ عن ابن عيينة والمحفوظ من رواية الحفاظ عن ابن عيينة (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) ثم قال: والظاهر أن رواية كل من زياد بن أيوب وأشهب منقولة بالمعنى، والله أعلم (لسان الميزان٥/١٥٦).

قلت: وهو كذلك والأمر واضح للناظر.

جانب لخصائصها، وببقية القرآن لما فيه من العظمة والخير والبركة والإعجاز؛ والله أعلم.

النظرة الثالثة
نزول جبريل عليه السلام بالفاتحة

الصحيح أن الفاتحة نزل بها جبريل عليه السلام استنادا إلى قول الله ﷻ: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[1] وقد أجمع العلماء على أن المراد بالروح الأمين جبريل عليه السلام.

والقراءتان لقوله: (**نزل**) بالتخفيف أو بتشديد الزاي صحيحتان، ولا يحصل الخلاف إطلاقا في أن ذلك من عند الله ﷻ على الوجهين المذكورين في (**نزل**)[2] ومن فهم من العلماء أن جبريل عليه عليه السلام لم ينزل بسورة الحمد استنادا إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (**بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضا**[3] **من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل**

[1]) الآيات (١٩٣ــ١٩٥) من سورة الشعراء.
[2]) انظر: (جامع البيان١٩/٦٨).
[3]) قال في الصحاح (٢/٦٠٣) : النقيض: صوت المحامل والرحال. وانظر: (النهاية٥/١٠٧).

إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة[1] لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)[2] من فهم من هذا عدم نزول جبريل عليه السلام بالفاتحة فقد أخطأ، لأن نزول سورة الفاتحة كان بمكة لآية الشعراء وهي مكية صريحة في نزول جبريل عليه عليه السلام بجميع القرآن.

قال القرطبي: فيكون جبريل عليه السلام نزل بتلاوتها بمكة، ونزل الملك بثوابها بالمدينة، فإنه جمع بين القرآن والسنة، ولله الحمد والمنة[3].

قلت: وانقدح في ذهني وجه آخر، وهو أن يكون جبريل عليه السلام نزل بها تلاوة وبخواتيم البقرة أيضا، ونزل

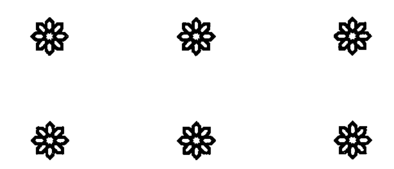
---

[1]) المراد الآيات من قوله تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله ...) الآيات إلى آخر السورة.

[2]) أخرجه الإمام مسلم، حديث (٢٥٤) وانظر: (تفسير ابن عطية١/١٤) وعنه نقل القرطبي في: (الجامع لأحكام القرآن١/١١٦) وسيأتي في ص ٢١، والذي وقفت عليه عند ابن عطية (أتلوا هذا القرآن فإن الله يأجركم بالحرف منه عشر حسنات ...) أخرجه الدارمي(٣٠٨/٢) موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ (تعلموا هذا القرآن) وأخرجه الترمذي (١٧٥/٥) مرفوعا بلفظ (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ...) وقال: حسن صحيح غريب، وذكره المنذري في الترغيب (٣٤٢/٢).

[3]) الجامع لأحكام القرآن (١١٦/١).

الملك بالبشارة بنوريهما وأنهما أعطيتا لنبينا محمد ﷺ دون الأنبياء.
فيحصل الجمع الذي ذكره القرطبي رحمه الله من وجه آخر، وقد سمعت شيخنا أبو بكر جابر[1] الجزائري عظّم الله أجره يقول: نزلت الفاتحة مرتين: مرة بمكة وآياتها سبع، بسم الله الرحمن الرحيم الآية الاولى.
ونزلت مرة أخرى في المدينة، ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم.
قلت: ما ذكر فضيلته فيه نظر: فلم تتنزل السورة مرتين، بل نزلت تلاوة مرة واحدة في مكة، ونزل في المدينة البشارة بالنورين الذين أوتيهما رسول الله ﷺ ولم أقف على ما يؤيد قول شيخنا هذا، أثابه الله، وهو في نظري توجيه حسن، وقد يقول قائل: نزلت مرتين والحكمة من ذلك تعظيمها، فأقول تعظيمها في البشارة بها وأنها نور أعطيه رسول الله ﷺ، أعظم في بيان فضلها، سيما وتعظيمها ورد في نصوص من السنة كثيرة، والله أعلم.



---

[1]) هذا اسمه مركّب، فلا يقال: أبابكر.

النظرة الرابعة
مكيـــة أو مدنـــية؟.

الصحيح من أقوال العلماء[1] أن سورة الفاتحـــة مكيـــة، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَـــاكَ سَـبْعاً مِـــنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾[2] فقد من الله ﷻ بها علـــى رسوله محمد ﷺ، والآية من سورة الحجر، وهي مكية، فلم يكن الله ﷻ يمن بها قبـــل نزولهـــا[3] ولأن فـــرض الصلاة كان بمكة في ليلة الإسراء[4] ولا خلاف في ذلك بين العلماء[5] ومعلوم أن مـــن أركـــان الـــصلاة قـــراءة الفاتحة، ولا صلاة صحيحة بدونها، لقوله ﷺ: **(لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)**[6].

---

[1]) لهم ثلاثة أقوال في هذا:
١ ــ أنها نزلت بمكة وهو قول الجمهور.
٢ ــ أنها نزلت في المدينة.
٣ ــ أنها نزلت مرتين، مرة في مكة ومرة في المدينة تعظيما لشأنها.
أنظر (الياقوت والمرجان في تفسير مبهمات القرآن ص:٢٢).
[2]) الآية (٨٧) من سورة الحجر.
[3]) معالم التنزيل (٣٧/١).
[4]) انظر (البخاري، حديث (٣٤٩).
[5]) انظر: (الجامع لأحكام القرآن١/١١٥).
[6]) أخرجه مسلم من حديث عبادة ﷺ حديث (٣٤).

النظرة الخامسة

عـــدد آياتهـــا

اجمعت الأمة على أن فاتحة الكتاب سبع آيـات، ولم يخالف فيه إلا من لا عبرة بقوله، لشذوذه[1].

قال الطبري: وقد اتفق القراء والعلماء على أنها سـبع آيات، وحصل الخلاف في الآية التي صارت بها سـبع آيات، فقال جماعة من الأصحاب والتابعين وعُظْم[2] أهل الكوفة: هي: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾ وقال عُظْم قُراة[3] أهل المدينة ومتقنيهم: هي: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[4].

قال الخطابي: قال قوم هي آية من فاتحة الكتاب، وهـو قول ابن عباس، وأبي هريرة، وسعيد بن جبير، وعطاء، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وقال آخرون: ليست التسمية من فاتحة الكتاب...[5] ونقل ابن كثير رواية ابن مردويه بسنده مـن حـديث أبـي هريرة ﷺ قال: قـال رسـول الله ﷺ: (**الحمـد لله رب**

---

[1]) انظر: (الجامع لأحكام القرآن ١/١١٤).

[2]) بضم العين: وعظم الشيء، أو الناس: معظمهم وأكثرهم.

[3]) بالتخفيف: جمع قارئ.

[4]) جامع البيان (١/١٠٩).

[5]) معالم السنن مع سنن أبي داود ١/٥١٣.

العالمين سبع آيات: بسم الله الرحمن الرحيم إحداها، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أم الكتاب، وفاتحة الكتاب)[1] قال ابن كثير رحمه الله: رواه الدار قطني[2] أيضا عن أبي هريرة، مرفوعا بنحوه أو مثله، وقال: كلهم ثقات. وهذا رأي ابن عباس رضي الله عنه[3].

وقد ألف في وجوب قراءة البسملة في الصلاة الإمام أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي كتابا سماه **(الرسالة المقتنعة في وجوب قراءة البسملة في الصلاة)** وألف أبو شامة المقدسي **(البسملة الكبير)** في مجلد، و **(البسملة الصغير)**.

وقد أثبت السلف البسملة في المصحف، مع توصيتهم بتجريد القرآن، ولذلك لم يثبتوا آمين، فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها[4]، فليعلم أن البسملة آية من الفاتحة وهو قول الجمهور، و﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ آية واحدة، هي الآية السابعة، تمام الفاتحة.

❁ ❁ ❁

---

[1] انظر: (تفسير القرآن العظيم ١/٢٢ـــ وأنوار التنزيل ١/٥).
[2] سنن الدارقطني، حديث (٣٦).
[3] تفسير القرآن العظيم (١/٢٢).
[4] انظر: (الكشاف ١/ ٤) ومصحف المدينة النبوية.

النظرة السادسة
صلتها بالكتب السماوية

أخرج البيهقي عن الحسن البصري أرسله قال: **(أنزل الله ﷻ مائة وأربعة كتب من السماء، أودع علومها أربعة منها: التوراة، الإنجيل، والزبور، والقرآن، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل، والزبور (القرآن) ثم أودع علوم القرآن (المفصل) ثم أودع علوم المفصل (فاتحة الكتاب)** فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة[1].

قلت: في إسناده الربيع بن صبيح السعدي، صدوق سيء الحفظ، ومال الذهبي[2] إلى أنه صدوق، ونقل تضعيف النسائي له، وفيه إرسال الحسن، والحسن مرسلاته تكلم فيها العلماء، حتى قال بعضهم: مرسلات الحسن كالريح ـ أي لا يعتد بها ـ وقد ذكر هذا الأثر السيوطي[3] معزوا إلى البيهقي في شعب الإيمان[4] وعزا السيوطي إلى أبي عبيد في فضائله عن الحسن مرسلا قوله: قال رسول الله

---

1) في شعب الإيمان (٣٠٨/٥ ــ رقم ٢١٥٥).
2) في الكاشف (٣٠٤/١).
3) في تفسيره (١٦/١).
4) أنظر: ٣٠٨/٥.

ﷺ: **(من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان)**[1].

قال الألوسي رحمه الله: ذكر بعض العلماء، أن الفاتحة بإجماع علماء كل أمة افتتح كل كتاب بها، لكنه معارض بأن العربية من خصوصيات القرآن، ولا يمنع أن تكون معانيها موجودة في الكتب الأخرى، فالكتب السماوية بأسرها غير عربية[2].

النظرة السابعة
ما ورد في فضلها

أخرج الإمام البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: مرّ بي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت، فقال: **(ما منعك أن تأتي؟**، فقلت: كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾[3] ثم قال: **ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟**، فذهب النبي ﷺ

---

[1]) فضائل القرآن ٢/٢٥، والدر المنثور (١/١٦).

[2]) في تفسيره (روح المعاني ١/٣٩).

[3]) الآية (٢٤) من سورة الأنفال، ومن هذا يستفاد وجوب الاستجابة لنداء رسول الله ﷺ في حياته، وقطع ما يعوق الإجابة ولو كان العائق عبادة، وبعد موته ﷺ تكون الاستجابة لأمره ونهيه.

ليخرج من المسجد فذكرته فقال: **الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)**[1].

وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ، عن أبيّ بن (مالك)[2] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها؟**، قلت: بلى، قال: **إني لأرجو ألا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها)**[3] فذكر الحديث.

وأخرج النسائي بسند رجاله ثقات من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **(كان النبي ﷺ في مسيرة فنزل، فمشى رجل من أصحابه إلى جانبه فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: ألا أخبرك بأفضل القرآن؟، قال: فتلا عليه** ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[4] يعني الفاتحة، وكذلك حديث عبد الله بن جابر ﷺ، وفيه: أن رسول الله ﷺ قال له: **(يا عبد الله بن جابر، ألا أخبرك بخير سورة نزلت**

---

[1]) أخرجه الإمام البخاري، حديث (٤٤٧٤، ٤٧٠٣).

[2]) هذا تحريف، والصواب: أبي بن كعب ﷺ، لأن أبي بن مالك ليس له إلا حديث واحد في بر الوالدين (الإتحاف١/٢٦٣-٢٦٧، وشعب الإيمان٥/٢٨٤).

[3]) شعب الإيمان، حديث (٢١٣٩).

[4]) السنن الكبرى (٥/١١) كتاب فضائل القرآن، باب(١٦) رقم (٢/٨٠١١) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

في القرآن؟، قال: قلت: بلى، يا رسول الله، قال: فاتحة الكتاب)[1] وذكر البيهقي رحمه الله اختلاف الرواة في هذه الرواية ثم قال: فيشبه أن يكون هذا القول صدر من جهة صاحب الشرع ﷺ لأبيّ، ولأبي سعيد بن المعلى كليهما، وحديث ابن المعلى رجاله أحفظ، والله أعلم[2].

قلت: ولذلك أخرجه الإمام البخاري وهذا يؤكد دقة الإمام البخاري وعلمه بعلل الأحاديث وضبط الرجال لما يروون، ولا يمنع إخباره ﷺ لأكثر من واحد من أصحابه[3].

النظرة الثامنة

الفاتحة من خصائص النبي ﷺ وأمته

خصّ الله ﷻ نبينا محمد ﷺ وأمته بسورة الفاتحة، لم يعطها أحدا من الأنبياء قبله، فليحرص المسلم على تجويدها وفهم معانيها.

أخرج الإمام مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: **(بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضا من فوقه، رفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط**

---

1) أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان ٥/٣٠٥-٣٠٦ رقم ٢١٥٢).

2) شعب الإيمان (٥/٢٨٥ ـ ٢٨٧).

3) انظر (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٠/٢١٧ ـ ٢٢٠).

إلا اليوم، فنــزل منه ملك، فقال: هذا ملك نــزل إلــى الأرض، لم ينــزل قط إلا اليوم، فسلم وقــال: ابــشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك ــ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ــ لن تقــرأ بحــرف منهمــا إلا أعطيته)[1] وفي هذا دلالة صريحة على اختصاص نبينــا محمد ﷺ وأمنه بالفاتحة، ومن خصّ بشيء زاد حرصه عليه، لاختصاصه به لنفاسته دون سواه، فليعتن المــسلم بسورة الفاتحة، فهما لدلالاتها وتجويدا لتلاوتها.

النظرة التاسعة
(الفاتحة تحاور بين العبد وربه)

ما أعظم مناجاة العبد لربه ﷻ واستــشعاره محاورتــه لمولاه جل وعلا من خلال فاتحة الكتاب، هنــا يــدرك العبد لذة المناجاة حينما يحزبه أمر فيلجــأ إلــى خالقــه وباريه، يطلب منه اللطف والرحمة والعفــو والمغفــرة هكذا كان يفعل سيد الخلق ﷺ إذا حزبه أمر لجــأ إلــى الصلاة[2] وإذا حان وقت الفريضة قال: **(يا بلا ل أرحنــا بالصلاة)**[3].

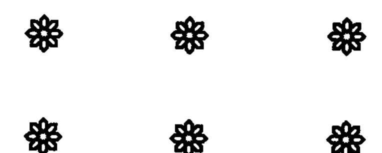
---

[1]) حديث (٢٥٤).

[2]) أخرجه أبو داو ود في سننه (٢/٧٨ـــ رقــم ١٣١٩) مــن حديث حديقة (كان النبي ﷺ إذا حز به أمر صلى) ويــشهد لــه الذي بعده، وأخرجه أحمد في مسنده (٥/٣٨٨) هذا قول حذيفــة وفي سنده محمد بن عبد الله الدؤلي مقبول.

[3]) أخرجه الطبراني (٦/٣٤٠) من حديث صحابي من أسلم.

أخرج الإمام مسلم حديث أبي هريرة ﷺ وفيه: سمعت الرسول ﷺ يقول: (قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجّدني عبدي، وقال مرة: فوض إليّ عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)[1].



قال الهيثمي في المجمع (١/١٤٥): فيه أبو حمزة الثمالي ضعيف واهي الحديث، وأخرجه أبو داود (٥/٢٦٢) والإمام أحمد في المسند (٥/٣٦٤، ٣٧١) وفي إتحاف السادة المتقنين (٣/١٣٧) قال: إسناده صحيح.

[1]) في صحيحه (١/٢٩٦ـ رقم ٣٩) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/٢٩٢ ـ رقم ٢١٤٦) وأطال المحقق في تخريجه فليعد إليه الراغب.

النظرة العاشرة
الفاتحة شفاء وأخذ الأجرة على الرقية بها جائز

ما أكثر ما يعتل الإنسان روحاً وجسداً وقد أخبر الباري ﷻ أن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين[1] وثبت النقل عن الرسول ﷺ أن الفاتحة يستشفى بها فليكن المسلم موقنا بذلك وليحرص على الاستشفاء بالقرآن وأوله الفاتحة وليحذر كل الحذر مجانبة المنهج النبوي في ذلك.

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب، فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا لهم: هل فيكم راقٍ؟، فإن سيد الحي لديغ أو مصاب، فقال رجل منهم: نعم فأتاه فرقاه (بفاتحة الكتاب) فبرأ الرجل، فأعطي قطيعاً من غنم فأبى أن يقبلها، وقال: حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: يا رسول الله والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب فتبسم ﷺ وقال: **(وما أدراك أنها رقية؟!، ثم قال: خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم)**[2] وأخرجه الإمام البخاري بزيادة: **(فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع ريقه**

---

[1]) قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾ الإسراء آية (٨٢).

[2]) حديث (٦٥) ويستفاد من هذا وجوب تحري الحلال، والبعد عن الشبهات والمحرمات في المكاسب.

ويتفل فبرأ)[1] وهذه الزيادة عند مسلم، ولكنـي ذكـرتُ رواية مسلم أولا لورود القصة فيها بأتم.

أخرج البيهقي بسنده من حديث عبد الله بـن جـابر ﵁ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يبول فوقفت عليه فقلت: السلام عليك، فلم يرد عليّ، ثم قلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليّ، ثم قلت: السلام عليك يا رسول الله، فلـم يرد عليّ.

قال: ونهض ودخل بعض حجره، قـال: فملـت إلـى اسطوانة في المسجد وأنا كئيب حزين، فبينا أنا كذلك إذ خرج رسول الله ﷺ فتوضأ، قال: فأقبل حتـى وقـف عليّ، ثم قال: **(وعليك الـسلام ورحمـة الله، وعليـك السلام ورحمة الله، عليك السلام ورحمه الله، ثم قـال: يا عبد الله بن جابر، ألا أخبرك بخير سورة نزلت فـي القرآن؟**، قال: قلت: بلى يا رسـول الله، **قـال: فاتحـة الكتاب)**.

قال علي: وأحسبه قال: **(فيها شفاء من كل داء)**[2].

قلت: عليّ هو: علي بن هاشم بن البريد، وقـد أخـرج الدارمي ما قال عليّ هذا، من مرسل عبد الملـك بـن عمير قال: قال رسول الله ﷺ: **(فاتحة الكتاب شفاء من كل داء)**[3] ولا يبعد أن يكون واسـطته مـن الـضعفاء،

---

[1]) حديث (٥٧٣٦).

[2]) في شعب الإيمان (٥/٦٠٥ ــ رقم ٢١٥٢).

[3]) في مسنده المعروف بسنن الدارمي (٢/٣٢٠).

فدلسه بالإرسال فإنه ثقة تغيّر، وربما دلس. وأخرجه البيهقي[1].

هذا وفي الفاتحة وفضائلها أحاديث كثيرة منها الثابت الصحيح والضعيف والموضوع واقتصرنا على بعض ما صح وثبت عن رسول الله ﷺ بغية إفادة القارئ وما ذكرنا مما تكلم فيه العلماء أبنّا علته، فسورة الفاتحة هي أفضل السور بالنص على ما مر ذكره، وبالمعنى على ما سيأتي، وهي أجمع سورة للخير، زادنا الله بها فهما وعلما وعملا.

النظرة الحادية عشرة
مقاصد الفاتحة

من المعلوم لأهل العلم، وأصحاب الخبرة في البحث والنظر أنه لو ذهب بعضهم يتتبع مقاصد الفاتحة، ويستجلي ما تضمنت من غايات لأمكنه أن يكتب الكثير من الفوائد العلمية، ونحن في هذا نسدد ونقارب لغرض الإفادة، والتوجيه والدلالة لمن أراد الزيادة في البحث والإمعان فيه.

إن سورة الفاتحة تضمنت من المقاصد والمعاني والدلالات، ما لم تتضمنه سورة من سور القرآن

[1]) في شعب الإيمان، حديث (٢١٥٤) وفيه انقطاع.

الكريم، وقد ضم القرآن الكريم علوم الكتب السماوية وزاد عليها.

ففي الفاتحة، الثناء الجميل على الله ﷻ بما هو أهله، على صفة الكمال المطلق، بأسمائه وربوبيته وصفاته تعالى، والاستعانة به وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له، والتوجه إليه تعالى بالطلب والدعاء، وهذا كله مقاصد القرآن الكريم، تناوله حديث **(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل...)**[1] ومن خلال البحث والنظر في هذه السورة العظيمة ظهرت عدة مقاصد، وخلاصتها في ثلاثة أمور:

١. أن الفاتحة تضمنت مقاصد القرآن كله على سبيل الاجمال.
٢. أنها تضمنت مقاصد السورة الواحدة.
٣. أنها تضمنت مقاصد الآيات.

أما مقاصد القرآن فقد ذكر العلماء أنها في أربعه أمور:

١. الإلهيات.
٢. النبوات وقصص الأمم السابقة.
٣. الأوامر والنواهي والأحكام.
٤. المعاد وما بعده[2].

---

[1]) أخرجه الإمام مسلم، حديث (٣٩٥).
[2]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٨/١).

ومقاصد السورة الواحدة: مثاله ما تضمنته الفاتحة وهو ما ذكرنا في مستهل هذا المبحث.

أما مقاصد الآيات: فقد ورد في كثير من الآيات التوجيه إلى الحِكَم النظرية، والأحكام العملية، وذلك في معرفة الطريق المستقيم وسلوكه، ومجانبة طريق الشقاء، ومعرفة مراتب الأشقياء والبعد عنها[1] ويمكن أن يسمى هذا بالجانب العلمي، والجانب العملي، وسورة الفاتحة تضمنت آياتها الجانبين، فنصفها الأول علمي، والثاني عملي ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ إلي آخر السورة. وفيما يلي نورد تحليلا لهذه المقاصد الفاتحه حسب ما فهمنا من دراسة أقوال العلماء.

الإلهيات:

هذا المقصد العظيم، تضمنه قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾.

تضمنت الأسماء والصفات والأفعال، فوجهت إلى معرفة الله ﷻ، ومعرفة صفاته وأفعاله.

النبوات:

[1]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٨) للبيضاوي.

وقصص الصالحين: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وقصص غيرهم من العصاة وأهل الكفر ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾.

الأحكام:

(الأوامر والنواهي) تضمنها قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ فهذا إيحاء إلى العبد أن الحكم الشرعي أن تكون العبادة خاصة وخالصة لله وحده لا شريك له، وكذلك الاستعانة، ولا يكمل ذلك إلا بالاستجابة لأحكام الإسلام.

المعاد: تضمنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ وهذا فيه وعيد وبيان أن الإنسان مدان بعمله في هذا اليوم المشهود، ويأخذ جزاء ما كسبت يداه، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وعد من الله ﷻ، أن من هذا حالهم في الاستقامة وتجريد العبادة لله ﷻ، والمتابعة لرسوله محمد ﷺ، مع الصبر والدعاء

يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

ومن هذا يتحصل لنا أن الفاتحة تضمنت ثلاثة ميادين علمية هي:

تعريف المدعو إليه: وهو (الله ﷻ) وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ وقد فصّل الكتاب والسنة هذا التعريف.

تعريف الوسيلة الموصلة إليه: وهي **(الصراط المستقيم)** المتمثل في العمل بما جاء عن الله ﷻ، وعن رسوله محمد ﷺ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥ ﴾[2] تعريف

---

[1]) الآية (٣) من سورة المائدة.

[2]) الآية (٨٥) من سورة آل عمران.

حال المخلوق لهذا التكليف الشرعي: وهم بنوا آدم وهم قسمان: قسم استجاب لهذا التكليف، فسلك الصراط المستقيم وهم الذين أنعم الله عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وهم الأنبياء والرسل، والصديقون والشهداء والصالحون، وعباد الله المؤمنون به وبأنبيائه وكتبه ورسله، السالكون صراطه المستقيم، بعملهم بأحكام الإسلام.

وقسم لم يستجب لداعي الشرع، وتنكب الصراط المستقيم، وخرجوا عن الجادة وهم الذين عرّف حالهم بقول الله تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ ومن هذا يظهر لنا أن من مقاصد الفاتحة ما يلي:

المقصد الأول:

تحديد مسمى الإله وأنه (الله ﷻ) وحده لا شريك له، المتفرد بصفات الكمال والجلال، والخلق والإيجاد من العدم، والربوبية المطلقة لجميع المخلوقات، تضمن هذا قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾

وهذا جلي يعلمه أبسط الخلق، وفي هذا المقصد الرد على المشركين والملحدين، الزاعمين أن قوة خفية تدبر هذا العالم، وحاروا في تحديدها، وهذا من عمى البصائر

والعياذ بالله. وقد هدى الله المسلمين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه.
وأنه تعالى وحده المدبر لهذا العالم، علويه وسفليه ظاهره وباطنه، ما علمنا منه وما لم نعلم.

المقصد الثاني:

بيان أن العالم العلوي والسفلي، وما فيهما من مخلوقات، كلها مربوبة لله ﷻ، هو ربها ومدبر شؤونها، لا يخرج عن قدرته شيء، ولا يكون إلا ما يريد سبحانه، ومقتضى هذا رحمة عباده في تربيتهم الروحية، كما رباهم بنعمه الظاهرة والباطنة، وفي هذا المقصد الرد على جميع الوثنيين الذين اتخذوا أربابا من دون الله ﷻ، تضمن هذا قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾.

المقصد الثالث:

بيان أن ورود أسماء الرب جل شأنه (**الله ــ الرب ــ الرحمن ــ الرحيم ــ مالك**) تأسيس لتوحيد الأسماء والصفات وأنه على وجه الكمال لله ﷻ، وأنه تعالى سمى نفسه بهذه الأسماء وغيرها مما ورد في الكتاب والسنة على وجه الكمال المطلق، وعلى مبدأ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾[1] وفي هذا رد على جميع الفرق الضالة، التي تؤول الأسماء

[1]) الآية (١١) من سورة الشورى.

والصفات، أو تعطل ذات الله ﷻ منها، فمن جحد شيئا منها أو أوله فقد كذب صريح القرآن، وصحيح السنة النبوية، وقد تضمن هذا قوله تعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾.

المقصد الرابع:

بيان أن الله تعالى هو المتفرد بالحكم، فله الأمر والنهي ورتب على هذا بعث العباد، وحشرهم في ذلك اليوم المشهود، الذي تُنصب فيه الموازين، وتكون فيه كل نفس بما كسبت رهينة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[1] لايستطيعون زيادة في الحسنات، ولا نقصا في السيئات قال الله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ﴾[2] وفي هذا المقصد رد على الذين يسعون إلى إيجاد شرائع في الأرض وقوانين

---

[1]) الآية (٧ ـ ٨) من سورة الزلزلة.
[2]) الآيتان (٣٩، ٤٠) من سورة النجم.

تخالف ما أنزل الله، من الناعقين والناعقات من المتبعين لأهوائهم في عالم اليوم المليء بالمتناقضات، وتصارع الأفكار والحضارات تضمن هذا قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾.

المقصد الخامس:

بيان أنه لا يستحق أحد العبادة إلا الله وحده لا شريك له، فهو المعبود بحق على وجه الخصوص، فكل معبود سوى الله ﷻ باطل، وكل من عبد غير الله فقد ضل سبيل الرشاد، وسلك مسالك أهل الغي والعناد، وفي هذا المقصد رد على الذين يتعبدون عند القبور بالذبح، والذكر ودعاء الأموات، والتقرب إلى الأولياء، وطلب قضاء الحاجات منهم، وهذا كله من صرف العبادة لغير الله ﷻ، ولما كان الدعاء من العبادة نصّفه الله ﷻ في الفاتحة فجعل النصف الأول منه مجمع الثناء عليه تعالى، والنصف الثاني من الدعاء مجمع حاجات العباد كل ذلك يتوجهون به إلى ربهم وخالقهم تمجيدا وثناء عليه وطلبا واستجداء منه تعالى[1] وفي الآية رد على المبتدعة من الجبرية والقدرية[2].

---

[1]) الجامع لأحكام القرآن (١/١٤٧).
[2]) الجامع لأحكام القرآن (١/١٤٥).

المقصد السادس:
نفي العناد والجحود، وطرد الشك والضلال، بطلب الهداية والتوفيق إلى الحق، فالهداية جزء من لطف الله ورحمته بالعباد، ولأهمية هذا الجانب، أرسى الله ﷻ لوازمه أولا، فعرّف بالمعبود: الله جل جلاله، وخصه بالعبادة، وعرّف بالمتبوع: رسول الله ﷺ، وخصه بالإتباع، وعرّف بالمنهج: الكتاب والسنة، وأمر بالاستقامة على ذلك، فهذه أركان الهداية الأربعة:
المعبود: هو الله الفاتحة يكرر الرجاء في خالقه ويديم التوسل والدعاء، أن يهديه الطريق المستقيم في الأمور كلها الحسية والمعنوية، وفي هذا المقصد رد على الذين يتوسلون بالأموات من الأنبياء والصالحين، ويستجيرون بالمخلوق دون الخالق، تضمن هذا قوله تعالى:
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾.

المقصد السابع:
بيان أن النبوة أعظم النعم التي منّ الله بها على العباد، إذ عرّفهم **بالمتبوع**، ومعرفته هي الركن الثاني من أركان الهداية، فبواسطة الرسل عرف العباد ربهم وعبدوه حق عبادته، وعليهم أنزل الله كتبه، فكان

القرآن الكريم خاتمها، وكان رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، حدد الله الخير والشر، وعرف الأمة الحلال والحرام، والمعروف والمنكر، وهذا كله مقتضى رحمته بعباده في قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ ومقتضى العدل في قول الله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ومقتضى إخلاص العبادة له في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فإن العبادة لا تسلم من الشرك والبدع، إلا إذا أخذت من طريق النقل عن الرسل عليهم السلام، فالعقول لا تحدد الشرائع وطريقة العبادات، ولا يعبد الله إلا بما شرع، ولا سبيل لمعرفة ما شرع الله ﷻ إلا من طريق الرسل عليهم السلام، ولذلك شدد الله ﷻ على اتّباع الرسول ﷺ فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

[1]) الآية (٣١) من سورة آل عمران.

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ [3] وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [4].

---

[1]) الآية (٦٥) من سورة النساء.
[2]) الآية (٦٣) من سورة النور.
[3]) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب.
[4]) الآية (٧) من سورة الحشر.

المقصد الثامن:

التعريف **بالمنهج** وهو الركن الثالث من أركان الهداية، وتصنيف بني آدم على أساس الإيمان بالله ﷻ، وعدم الإيمان به، حيث جعلت الفاتحة الناس صنفين:

١ـ صنف مؤمن عالم عامل، عرف الحق تعالى فعبده وحده لا شريك له، وعرف المبلغ عن الله ﷻ، وعرف الطريق المستقيم فسلكه، وهذا تضمنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾.

٢ ـ صنف اتبع هواه ولم يسمع للرسول ﷺ، ولم يحكم ما جاء به من عند الله، فضل ضلالا مبينا، وتضمن هذا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾.

المقصد التاسع:

الاستقامة على المنهج الصحيح، وهو الركن الرابع من أركان الهداية، ولتحقيق ذلك بث الوعي بين العباد بأسلوبين:

١ـ أسلوب الترغيب والبشارة، تضمنه قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ففي سلوك هذا

المنهج ترغيب في الجنة ونعيمها، وبشارة بالنجاة، وبمصاحبة الذين أنعم الله عليهم، وهم الأنبياء والرسل، والصديقون والشهداء والصالحون.

٢ـ أسلوب التحذير والترهيب، تضمنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ فالتعبير بالغضب والضلال هو من أبلغ العبارات في الزجر والتخويف، ومن وقع في الضلال فقد خاب وخسر.

المقصد العاشر:

تشخيص الداء، وتحديد الدواء: قد تشخص الداء من خلال قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وأنه لم ينلهم الغضب إلا بسبب كفرهم وعنادهم وعدم استجابتهم لدعوة الحق وقد لازم غضب الله اليهود لعنادهم وجحودهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ تشخيص لداء اتّباع الهوى، وأنه يزلّ بصاحبه عن المحجة، فيكون في سُبُل تعصف به ولا يستقر به قرار[1] ومن هنا لازم

---

[1]) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.

الضلال النصارى لتحكيمهم أهواء أحبارهم ورهبانهم، وبذلك اتخذوهم أربابا[1] من دون الله.

وقد حدد الدواء في: الهداية وأركانها التي أسلفنا الكلام عليها، وهي: معرفة المعبود، ومعرفة المتبوع، ومعرفة المنهج، ثم الاستقامة على ذلك.

ومن ذلك نعلم أن صلاح القلوب لا يكون إلا بترسيخ العقيدة الصحيحة، وتحديد مسار العبد وفق ما تضمنته سورة الفاتحة.

النظرة الثانية عشرة
وجوب قراءتها في كل ركعة

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **(لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)**[2] وأنه قال: **(من صلى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام)**[3]. فأي بيان أوضح من هذا.

وهذا ما ذهب إليه الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، و داوود بن علي الظاهري، وجمهور أهل العلم قالوا: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب.

---

[1]) انظر الآية (٣١) من سورة التوبة، وحديث عدي بن حاتم.

[2]) أخرجه الإمام مسلم، حديث (٣٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

[3]) أخرجه الإمام مسلم، حديث (٤١) من حديث أبي هريرة وفيه (بفاتحة الكتاب) وانظر التمهيد (١٩٢/٢٠).

قال ابن خويز منداد المالكي البصري: وهي عندنا متعينة في كل ركعة، قال: ولم يختلف قول مالك فيمن نسيها في ركعة، من صلاة ركعتين أن صلاته تبطل[١] ونقل بهذا القول القرطبي رحمه الله في تفسيره[٢] ونقل عن ابن عبد البر قوله: الصحيح من القول إلغاء تلك الركعة ـ يعني الركعة التي لم يقرأ فيها بالفاتحة ـ ويأتي بركعة بدلا منها كمن أسقط سجدة سهوا[٣].

وقال القرطبي رحمه الله: الصحيح من هذه الأقوال قول الشافعي، وأحمد، ومالك في القول الآخر، وأن الفاتحة متعينة في كل ركعة لكل أحد على العموم، لقوله ﷺ: **(لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب)**[٤] وقوله: **(من صلى صلاةً لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج)**[٥] ثلاثا، وقال أبو هريرة ﷺ: أمرني رسول الله ﷺ، أن أنادي أنه **(لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد)**[٦].

كما لا ينوب سجود ركعة ولا ركوعها عن ركعة أخرى، فكذلك لا تنوب قراءة ركعة عن غيرها، ثم عدّد

---

[1]) التمهيد (١٩٢/٢٠).

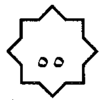
[2]) الجامع لأحكام القرآن (١١٧/١).

[3]) الجامع لأحكام القرآن (١١٧/١).

[4]) أخرجه الإمام مسلم، حديث (٤١).

[5]) سنن أبي داوود، حديث (٨١٨ ، ٨٢٠) بألفاظ متقاربة.

[6]) سنن أبي داوود، حديث (٨٢١) ولفظه (من صلى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن....).



جمعا من الصحابة والأئمة قالوا بهذا[1] وقال: وقد أخرج الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني في سننه، ما يرفع الخلاف ويزيل كل احتمال ـ فذكر بسنده ـ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد لله وسورة في فريضة أو غيرها)**[2].

وحيث إن مقصدنا بيان الأصح من أقوال العلماء، وما أيده الدليل، ولزوم الاختصار نكتفي بما ذكرنا، وإلا فالنصوص الدالة على وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة كثيرة، سواء في حق المأموم أو المنفرد، ومنها ما ثبت في صحيح الإمام مسلم: أنه ﷺ قال للذي علمه الصلاة: **(وافعل ذلك في صلاتك كلها)**[3] وأخرج أبو داوود رحمه الله، عن نافع بن محمود بن الربيع الأنصاري قال: **(أبطأ عبادة بن الصامت عن صلاة الصبح، أقام أبو نعيم المؤذن الصلاة، فصلى أبو نعيم بالناس، وأقبل عبادة وأنا معه حتى صففنا خلف أبي نعيم، وأبو نعيم يجهر بالقراءة، فجعل عبادة يقرأ أم القرآن، فلما انصرفت قلت لعبادة: سمعتك تقرأ بأم القرآن، وأبو نعيم يجهر؟، قال: أجل، صلى بنا رسول**

---

[1]) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٩).

[2]) سنن ابن ماجة، حديث (٨٣٩) في إسناده أبو سفيان السعدي طريف ابن شهاب، ضعيف لكن تابعه قتادة، أخرجه ابن حبان، انظر (٣/١٤٠) من الإحسان بترتيب صحيح بن حبان.

[3]) صحيح الإمام مسلم، حديث (٤٥).

الله ﷺ بعض الصلوات التي يجهر فيها بالقراءة قال: فالتبست عليه القراءة، فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال: هل تقرءون إذا جهرت بالقراءة؟، فقال بعضنا: إنا نصنع ذلك، قال: فلا، ـ وأنا أقول: ما لي ينازعني القرآن ـ فلا تقرءوا بشيء من القرآن إذا جهرت إلا بأمِّ القرآن)[١] وقال أبو داود: وهذا أصح، والعمل على هذا الحديث في القراءة خلف الإمام، عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وهو قول مالك بن أنس، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق[٢].

وقال الدارقطني بعد أن أخرج الحديث من طريق محمد بن إسحاق عن مكحول عن محمود: هذا إسناد حسن، وقال بعد أن أخرجه من طريق زيد بن واقد، عن مكحول به: كلهم ثقات ـ يعني رجال إسناده ـ وقال عن محمود بن الربيع الأنصاري: وكان يسكن إيليا[٣] وعن أبي نعيم: وكان أبو نعيم أول من أذن في بيت المقدس[٤] واعتقد أنه من كلام الدارقطني وإلا لما حكم على الإسناد بأن رجاله ثقات.

---

[1]) سنن أبي داوود، حديث (٨٢٤).

[2]) سنن الترمذي، حديث (٣١١).

[3]) بكسر أوله واللام، وياء وألف ممدودة، إسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله (معجم البلدان ١/٢٩٣).

[4]) سنن الدارقطني، حديث (٥، ٦) وانظر الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٠).

وهذا يرد كلام أبي عمر بن عبد البر في أبي نعيم أنه مجهول[1]. فالذي أراه راجحا ومنصورا دليله بإذن الله تعالى، وجوب القراءة لما أوردنا من نصوص، ولأنه أحوط في دين العبد، وأتقى لله تعالى.

ومن أراد العودة إلى أقوال العلماء في هذه المسألة فإن الخلاف فيها على ثلاثة أقوال كما ذكر ذلك أبو عمر بن عبد البر رحمه الله قال: وهذا موضوع اختلفت فيه الآثار، عن النبي ﷺ، واختلف فيه العلماء، من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، على ثلاثة أقوال. ثم قال: منهم قائلون: لا يقرأ لا فيما أسر ولا فيما جهر. وقال آخرون: يقرأ معه فيما أسر فيه، ولا يقرأ فيما جهر فيه إلا بأم القرآن، خاصة دون غيرها ــ والثالث سقط ولم يتنبه المحقق إلى إلحاقه، وهو: يقرأ فيما أسر الإمام ولا يقرأ فيما جهر[2] ــ وقد ناقش رحمه الله الآثار والأقوال وأفاض في ذلك[3] وقد أبنّا القول الراجح[4] وأن قراءة أم الكتاب في كل ركعة لا تسقط إلا عند العجز عن قراءتها عجزا شرعيا. وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

---

[1]) التمهيد (٤٦/١١).

[2]) التمهيد (٢٧/١١ ــ ٢٨).

[3]) التمهيد (٢٣/١١ــ٥٥).

[4]) وانظر الرازي (٢١٤/١-٢١٨، وللعلم بما قيل في مطلق القراءة١/١٨٨-٢١٤).

النظرة الثالثة عشرة
جواز الزيادة على الفاتحة من القرآن

ليعلم القارئ الكريم، أنه لا تجزيء صلاة من يحسن فاتحة الكتاب إلا بها، ولا يجزئ أن ينقص حرفا منها، لأن ذلك تحريف وإحالة للمعنى إلي غير المراد منه، فإن لم يقرأها المصلي أو نقص منها حرفا أعاد صلاته، وإن قرأ بغيرها، وهذا هو الصحيح إن شاء الله تعالى.

وقد أجمع العلماء على أنه لا صلاة إلا بقراءة، وأنه لا توقيت في ذلك بعد الفاتحة، عن النبي ﷺ[1] ومستند جواز الزيادة في القراءة على الفاتحة حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للأعرابي: (**إقرأ ما تيسر معك من القرآن**)[2] أي ما زاد على الفاتحة، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[3]، والآية ذاتها ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ ﴾ ولو أراد الفاتحة لما خير لأن قراءتها واجبة، كما في حديث عبادة أيضا:

---

[1]) الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٤).
[2]) أخرجه الإمام مسلم، حديث (٤٥).
[3]) الآية ٢٠ من سورة المزمل .

(لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن)[1] وزاد في رواية **(فصاعدا)**[2] وقوله ﷺ: **(هي خداج ـ ثلاثا ـ غير تمام)** أي غير مجزئة، والخداج النقص والفساد[3] والصريح في ذلك أيضا رواية أبي داوود من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: **(أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب، وما تيسر)**[4] وهذا تفسير لمراد ﷺ بقوله للأعرابي: **(اقرأ ما تيسر معك من القرآن)** قال القرطبي رحمه الله: والنظر يوجب في النقصان أن لا تجوز معه الصلاة، لأنها صلاة لم تتم، ومن خرج من صلاته وهي لم تتم فعليه إعادتها، كما أمر على حسب حكمها، ومن ادعى أنها تجوز مع إقراره بنقصها فعليه الدليل، ولا سبيل إليه من وجه يلزم، والله أعلم[5].

❁ ❁ ❁

---

[1]) أخرجه الإمام مسلم، حديث (٣٤) وما بعده.

[2]) صحيح مسلم، حديث (٣٧).

[3]) قال الأخفش: خدجت الناقة: إذا ألقت ولدها لغير تمام، وأخدجت: إذا قذفت به قبل وقت الولادة، وإن كان تام الخلقة (الجامع لأحكام القرآن ١/١٢٣) كذلك انظر (النهاية ٢/١٢).
قلت: وفي كلتا الحالتين هو تالف لا حياة له، وانظر لسان العرب ٢/٢٤٨).

[4]) سنن أبي داوود، حديث (٨١٨).

[5]) الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٣).

النظرة الرابعة عشرة

سقوط قراءتها عن العاجز المتعذر عليه إدراكها

أوضحنا مكان الفاتحة من الصلاة وأنها روح الصلاة بتمامها تكون الصلاة تامة صحيحة، وبنقصانها تكون الصلاة ناقصة باطلة على ما هو صحيح ومعضّد بالأدلة.

من رحمة الله ﷻ بعباده أن جعل هذا الدين فيه رحمة ومراعاة لأحوال العباد وقدراتهم الذهنية والبدنية، فمن تعذر عليه القدرة على قراءة الفاتحة، بعد بلوغ لزمه أن يذكر الله ﷻ في موضع القراءة بما أمكنه من تكبير أو تهليل أو تحميد أو تسبيح أو تمجيد، أو لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا صلى وحده أو مع إمام، ومستند هذا القول ما أخرجه أبو داوود من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئا، فعلمني ما يجزئني منه، قال: **(قل سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله)** قال: يا رسول الله، هذا لله، فما لي؟، قال: **(قل اللهم ارحمني، وارزقني وعافني واهدني)** فلما قام قال: هكذا بيده ـ فقال رسول الله ﷺ:

(**أما هذا فقد ملأ يديه من الخير**)[1] هذا وعلى المسلم أن يجهد نفسه في تعلم الفاتحة، نصا ودلالة، ولا يقصر في ذلك، لترتب صحة الصلاة، وكمالها على صحة قراءة الفاتحة، فإذا بلغ الجهد وعجز فقد جعل الله له سبيلا إلى الخير كما أسلفنا بيانه.

النظرة الخامسة عشرة
احتواء الفاتحة على علوم القرآن

تنافس العلماء رحمهم الله في كشف ما تضمنته الفاتحة من العلوم، وذكروا فوائدها ونفائسها، عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد ...الخ[2].

ولا ريب أن الفاتحة تضمنت ما ورد في القرآن الكريم من علوم وهي مرتّبة كما يلي:

أولاً: علم توحيد الربوبية الذي نبه عليه رب العزة والجلال بالثناء على نفسه بأكمل الحمد وأوفاه فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فكأن قائلا تساءل فقال: من هو؟، فقال تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ فذكر كل

[1]) سنن أبي داوود، حديث (٨٣٢) في إسناده إبراهيم السكسكي احتج به البخاري ولم يتفرد به تابعه طلحة بن مطرف كما ذكر محقق سنن الدارقطني (٣١٣/١ ــ ت١).

[2]) التفسير الكبير (٣/١).

الأوصاف والنعوت الجميلة الموجبة للإقبال عليه تعالى إقبالا كليا مضمنة قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ وقد جاء في الكتاب العزيز ﴿ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ ﴾[1] ولا يحصل العلم بأنه تعالى رب العالمين إلا بمعرفة معنى **(رب)** ومعرفة المراد **(بالعالمين)**[2] وهذا تقرير توحيد الربوبية الشاملة لكل مخلوق **(فالعالمين)** شامل لجميع المخلوقات، خلافا لمن قصره على **(الناس)** فهو تعالى رب الناس، يعلم دقائق خلقهم وما يصلحهم في الدنيا والآخرة، كما هو رب هذا العالم الكبير، من الجواهر والأعراض يعلم دقائق خلقها، وما يصلحها ويدبر أمرها **(فالعالمين)** مفردها عالم، وقيل: العالم جمع لا واحد له من لفظه، فكما أن الجمع المعروف يستغرق آحاد أفراده، كما في مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾[3] أي كل محسن كذلك العالم يشمل أفراد الجنس المسمى به، وإن لم يطلق عليها فيتناول اللفظ **(العالمين)** كل

---

[1]) الآية (٣٩) من سورة يوسف.

[2]) أنظر (التفسير الكبير ١/٦).

[3]) الآية (١٣٤) من سورة آل عمران. وفي آيات أخر من كتاب الله.

واحد من آحاد الأجناس التي لا تكاد تحصى، وجمع بالواو والنون؛ تغليبا للعقلاء، وقد روي عن وهب بن منبه أنه قال: لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم والدنيا عالم منها[1] فاستفدنا من صيغة الجمع والتعريف أمرين:

١.أن ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة.

٢.أنه مستغرق لجميع ما تحته منها[2].

قلت: ما روي عن وهب إن صح وثبت فهو بحسب ما ظهر للإنسان، وليس المراد به الحصر والاستقصاء، فخلق الله لا يحيط به مخلوق ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾[3].

ثانياً: علم توحيد الأسماء والصفات المضمن قول الله ﷻ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾.

ثالثاً: علم توحيد الألوهية وهو توحيد العبادة الذي بعث الله الرسل للدعوة إليه المضمن قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ

---

[1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/١٩ ــ ٢١).

[2]) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (مع الكشاف ١/٩).

[3]) الآية (٨) من سورة النحل.

لِلَّهِ ﴾ وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾.

رابعاً: علم الأحكام الشرعية، الأمر والنهي، الحلال والحرام، المضمن قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ المرتب عليه الوعد والوعيد، المضمن قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾.

خامساً: علم الأخبار وقصص الأمم السابقة، والقرون الأولى، المضمن قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾.

هذا ما تلخص لنا من النظر في أقوال العلماء[1] رحمهم الله تعالى.

النظرة السادسة عشرة
ما في الفاتحة من العلوم الأخرى

لا غرابة أن تتضمن الفاتحة علوما عن الكون والمخلوفات وما أودع الله ﷻ فيها من حكم وأسرار، لأن الفاتحة مفتتح الكتاب العزيز، وكتاب الله هو الدين القيم، كيف لا وفي القرآن الكريم ما يربو على (٧٥٠) آية، المتعلق منها بعلم الفقه قد لا تزيد آياته عن (١٥٠) آية، مع ما صح عن عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ من الأحاديث، ففي الكتاب والسنة علم الدنيا والآخرة، لذلك تضمنت الفاتحة الإشارة إلى ما في الكون من عوالم ومخلوفات، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾.

وقد حوى هذه المخلوفات **مكانان:** علوي وسفلي، وفي كل منهما من المخلوقات، والكائنات الحية وغيرها، ما لا يعلمه ويقوم على تدبيره إلا الله ﷻ، هو الخالق المدبر وحده لا شريك له، ومن هذه المخلوقات الإنسان

---

[1]) انظر: (التفسير الكبير ١/٣ــ الجامع لأحكام القرآن ١/١١٠،١١٢ــ وتفسير ابن القيم ص ٧ــ وإرشاد العقل السليم ١/٨ ــ وروح المعاني ١/٣٥).

الذي اختاره الله ﷻ للتكليف وعمارة الأرض، وامتن الله عليه بالربوبية، إذ تبدأ رعاية الله له منذ اللحظة الأولى لبداية الخلق من البويضة والحيوان المنوي ، إلى أن يكمل خلقه ويكون إنسانا قويا، وهذه رعاية خاصة بتكوين الجسد وحياته، ثم تليها الرعاية الروحية والفكرية، المقرون بها الثواب والعقاب، فالعاقل يجب أن يعتبر ذات نفسه، وذلك لأنه مؤلف من نفس وبدن، ولا شك أن أدون الجزأين وأقلهما فضيلة ومنفعة هو البدن، ثم إن أصحاب التشريح وجدوا قريبا من (٥٠٠٠) نوع[1] من المنافع والمصالح التي دبّرها الله ﷻ بحكمته في تخليق بدن الإنسان، ومن وقف على هذه الأصناف المذكورة في كتب التشريح، عرف أن نسبة هذا القدر المعروف المذكور إلى ما لم يعلم وما لم يذكر كالقطرة من البحر المحيط، ثم إذا توسع الإنسان في النظر وتأمل ما قيل عن العالم العلوي، وما فيه من الأجرام السماوية والكواكب السيارة، وأجرام النيرات من الثوابت وما بينهما من البعد والمسافات ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، ونظر علميا فيما استطاع كشف حقيقته وبعض خباياه، بإجراء بعض الحسابات، مثل قولهم: إن السنة الضوئية هي عبارة عن مقدار ما يقطعه ضوء الشمس في سنة

---

[1]) هذا ما ظهر للرازي رحمه الله، وهو قبل ما يزيد على (٨٠٠) سنة، فكيف بما حدث من وفته إلى يومنا هذا من الكشف والتوسع الهائل في علوم الفضاء، وعلوم الكائنات الحية من، وعلوم الطب والتشريح ؟ !!.

بسرعة (١٨٦) ألف ميل في الثانيـة، وهـذا مقيـاس المسفات بين المخلوقات السماوية (العالم العلوي).
وكذلك إذا أمعن النظر في العالم السفلي، وما لاح فيه من آثار حكم الله ﷻ في تخليق الأمهات، والمولدات من الجمادات، والنباتات، وجميع الكائنات الحية، وأصناف أقسامها وأحوالها، علم أن هذه الأنواع لا قدرة للبشر على حصرها، ولا كشف منتهى ما فيها من حكمة سبحانه، وأسرار الخلق الابداع الذي أجراه جلّت قدرته، قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[1] وعلم أن قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ مشتمل على ألف ألف مسألة، أو أقل أو أكثر، هذا قول الرازي(**مليون مسألة**).
وأقول: بل على مسائل لا يعلم حصرها إلا الله ﷻ، ويتبين للناظر أن قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ فيه لفت نظر إلى كل ما ورد ذكره في القرآن الكريم، ولا نريد الإطالة بسرد الآيات الواردة في

---

[1]) الآية (١٣) من سورة الجاثية.

التسخير، فهي كثيرة كلها تدل على أن ما في هذا الكون مسخّر للإنسان، للبحث والنظر والاستدلال، وأخذ العبر من نتائجها، وكذلك الآيات الآمرة بالتفكر في آيات الله ومخلوقاته عديدة في كتاب الله ﷻ، منها قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[1]

ويدل على النظر في العالم العلوي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[3] وقول الله

---

[1]) الآية (١٩١) من سورة آل عمران.
[2]) الآية (١٠١) من سورة يونس.
[3]) الآيتان (٩٥، ٩٦) من سورة الأنعام.

سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1] ومما يدل على النظر في العالم السفلي، قوله في الآية السابقة: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[2] وأيضا قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[3] وكذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ

---

[1]) الآية (٩٧) من سورة الأنعام.
[2]) الآية (١٠١) من سورة يونس.
[3]) الآية (٥٠) من سورة الروم.
[4]) الآية (٢٠) من سورة الذاريات.

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾[1] وصدق الله ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[2]

نلاحظ المكتشفات العلمية في هذا العصر من خلال البحث في خلق الإنسان، وغزو الفضاء بالمراصد لكشف ما فيه من عجائب صنع الله ﷻ، ومع ذلك لم يؤد ذلك إلى إيمان أولئك الذين مكنهم الله من كشف بعض من عظيم خلقه سبحانه، ومع ذلك ما آمن منهم إلا قليل ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[3] ومما ترشد إليه هذه الآيات ـ التي هي غيض من فيض في كتاب الله ﷻ ـ نعلم أن

---

[1]) الآية (٩٩) من سورة الأنعام.
[2]) الآية (١٠١) من سورة يونس.
[3]) الآية (١٠١) من سورة يونس.

المسؤلية التي حمّلها الله ﷻ الأمة الإسلامية كبيرة جدا، وأن عليهم النظر والكشف عما أمر به القرآن الكريم أمة محمد ﷺ، ولم يكن امتنان الله ﷻ على عباده بتعليم داود عليه السلام صنعة لبوس إلا ليرشد عباده الصالحين في كل زمان ومكان إلى وجوب العمل الجاد، واتخاذ الأسباب الكافية ليكونوا أقوياء أعزاء، من أجل أن تكون كلمة الله هي العلياء، ولا تكون عالية قوية إلا بقوة حراسها والحاملين لواءها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1] إنها صناعة الدروع علمها داود عليه السلام لما فيها من الحماية والتحصين من بأس ما يقابلها من الأسلحة، ولأهمية هذا النوع امتن الله ﷻ على داود بقوله: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾[2] حيث جعله الله في يديه كالعجين يصنع منه ما يريد من غير مشقة ولا تعب، فلم يكن عبثا أبدا أن يمتنّ الله على أنبيائه ورسله بما علمهم، وبما منحهم من أسباب القوة والمنعة، وقد

[1]) الآية (٨٠) من سورة الأنبياء.
[2]) الآية (١٠) من سورة سبأ.

كان نوح عليه السلام نجارا[1] إن في هذه وغيره تنويهـا إلـى ضرورة أن يشتغل المسلمون بأسباب قوتهم ونـصرهم، والأنبياء والرسل كلهم مسلمون بنص القرآن الكريم، فما ورد في حق أي نبي من أسباب النصر والتمكـين فـي الأرض، هو وارد في حق غيره من الأنبياء ولا ريب، من نوح عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ، فعباد الله المـسلمون مأمورون بإعداد القوة، قال تعـالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[2] فأمر الله تعالى بالإعداد وهو بذل جميع الوسائل الممكنة، للحصول على أكبر قـوة فـي الأرض، بدليل تنكير كلمة **(قوّة)** فإنها لم تـرد معرّفـة حتى لا تكون قاصرة، فكان التنكير غاية مقصودة وهي الحصول على أي قوة ممكنة على وجه الأرض، ومـا عمل داود إلا إشارة إلى عمل كل ما فيـه دفـع لـشر السلاح، بجميع أنواعه وأشكاله، ومـا عمـل نـوح إلا إشارة إلى ضرورة خوض لجج البحار والمحيطات بقوة عظيمة، صالحة للاستخدام سـلما وحربـا، ولا نريـد التوسع في هذا الأمر فإنه طويل جدا، لكننا نقول: إن ما فيه المسلمون اليوم من البلاء والفرقة والضعف، سـببه عدم الوعي لما في الكتاب والسنة من العلم والتوجيـه،

---

[1]) انظر الآيات (٣٧) من سـورة هـود (٢٧) مـن سـورة المؤمنون.
[2]) الآية (٦٠) من سورة الأنفال.

فقد فرّط القادة والشعوب في أسباب عز المسلمين، إنني لا ألوم دولة إسلامية بعينها، بل جميع الدول الإسلامية فرّطت في كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، واشتغلت بالتناحر والتدابر، وقطع الصلاة ونبذ العمل المشترك وفق الكتاب والسنة، ولبس هذا الأمر قريب عهد، بل من أمد بعيد، واليوم إذا ما حدث لبلد إسلامي مكروه، فمن أخذته الحمية من المسلمين اكتفى بالشجب والاستنكار، والاستجارة من الرمضاء بالنار، فيستجيرون من اليهود والنصارى باليهود والنصارى، وربما بررت بعض الدول لعدوان المعتدي، إنها كارثة في حق أمة محمد ﷺ، الذي وحدّ أمته على كتاب الله وسنته ﷺ، إن العودة إلى الله ورسوله واجبة، ولا فلاح للأمة بدونها، وإن أقلّ ما يجب عمله في هذا العصر أن تقوم الدول الإسلامية، وتلتف حول ميثاق إسلامي، منه ينبثق بناء القوة الإسلامية الموحدة، قوة رادعة وفق ما يقضي به الكتاب والسنة، تكون مرجعا وحيدا بعد الله ﷻ للأمة الإسلامية، الأمة الإسلامية الواحدة، بدلا من الأمم المتحدة الظالمة، التي لا تعرف إلا حقوق اليهود والنصارى، إن فرصة المسلمين لبناء قوة إسلامية مؤاتية، ولا يزال الأمل قائما وقويا، وإذا لم تكن للمسلمين قوة تردع الأعداء، فإنهم الغثاء الذي أخبر عنه الرسول ﷺ[1] وحينها يصدق على كل دولة إسلامية على

---

[1]) في قوله ﷺ : (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ

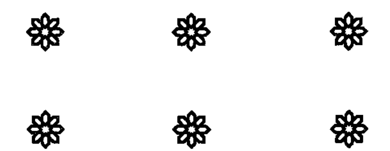
وجه الأرض المثل الذي يقول: (**أكلت يوم أكل الثور الأسود**) وإذا ما تنبه المسلمون وعادوا لبناء قوتهم وفق ما تقضي به شريعة الإسلام، وفي إطار إتحاد إسلامي، تصدر فيه عملة موحدة لبناء القوة الإسلامية الرادعة، كما فعلت الدول الأوروبية، أنشأت (الاتحاد النقدي للصناعات) تحت عملة موحدة لهذا الغرض (اليورو).
وإذا كنا أطلنا النفس في هذا فلأنه من أهم المهمات، لإنقاذ المسلمين مما هم فيه من الذل والهوان.
ومما أرشدت إليه الفاتحة من خلال قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ النظر إلى ما في العالم السفلي من عوالم ومخلوقات منها مثلاً[1]:
عالم النبات:
له علم تعرف به صنوفه وأنواعه، واختلاف أشكاله وألوانه، وطعومه وروائحه، وأوراقه وأزهاره، وثماره وحبوبه، وبذوره وصموغه، ولحاؤه وبنية تكوينه، وتربته لما يخرج منه، كل ذلك في علوم أمر المسلمون بالنظر والكشف عنها والاستفادة مما فيها، بعد الإيمان بأن ذلك تقدير العزيز الحكيم.
عالم الحيوان:

كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل: يارسول الله، وما الوهن؟، قال: حب الدنيا وكراهية الموت، سنن أبي داود، حديث (٤٢٩٧).
[1]) انظر (الجواهر في تفسير القرآن ١/١٤ــ ١٥).

له علم تعرف به أشكاله وأنواعه وصنوفه المختلفة، وأجناسه مما يسكن البر منه، وما في الهواء والبحر، وما يتعلف بتزاوجها وتوالدها، ومستقرها ومستودعها، وما يتبع ذلك من علوم طب وتشريح.

علم التشريح:

علم يعرف به بالدرجة الأولى عظم ربوبية الله ﷻ لجميع المخلوقات، ومنها الإنسان الذي أودع فيه ربه سبحانه وتعالى (٢٤٨) عضوا، و (٣٦٠) مفصلا، أوجد لها من الأوردة والشرايين والأعصاب ما لا يعلمه إلا هو سبحانه، وزودها بالدورة الدموية، والتنفسية، والغذائية، والدائرة العقلية، والحواس الخمس، وما في الدماغ من قوى، كل ذلك مندرج تحت قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وقوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾[1].



[1]) الآية (٢١) من سورة الذاريات، وانظر (الجواهر في تفسير القرآن ١/١٥).

النظرة السابعة عشرة
المنهج التربوي في سورة الفاتحة

لقد تضمنت سورة الفاتحة جوانب تربوية عظيمة منها:

١. **الجانب العلمي المعرفي النظري:** يتمثل ذلك في معرفة المدعو إلى عبادته وحده لا شريك له، وهو الله ﷻ فقوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ عرّف العباد أن الله ﷻ هو المختص بالحمد على وجه الكمال، فوجب على كل مسلم أن يعي هذا، وينطلق في تربية نفسه ومن ولاه الله أمرهم من مبدأ أن الله تعالى رب العالمين، الذي أوجدهم ورعاهم وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ولذلك تضمن اسمه الكريم **(رب)** ثلاثة أمور:
الرب بمعنى المعبود، والرب بمعنى المربي والمنعم، والرب بمعنى المالك المتصرف.

٢. **الجانب العملي التطبيقي:** ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾.

إن المسلم إذا تقرر لديه الجانب النظري، بادر إلى الجانب العملي فإن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فتكون عبادته خالصة لله ﷻ، وتوكله عليه وحده، واستعانتة به سبحانه في كل شؤونه، ولا معارضة فيما يحصل بين المسلمين من تعاون فإنه من

باب العون والمساعدة بالنسبة للمخلوق، ومن باب العبادة والتوكل بالنسبة للخالق سبحانه.

تحديد ثمرة التلازم بين الجانبين السابقين؛ ولا تحصل الثمرة إلا باجتماعهما، وهي: الهداية إلى الطريق المستقيم: ويتمثل في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ فطلب الهداية يستلزم البعد عن الضلال، وكل ما يغضب الله ﷻ، وتحمل المسؤولية: في سبيل إظهار الحق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ والذين أنعم الله عليهم هم المطيعون لله ورسوله، أعلاهم الأنبياء والرسل، ثم الصديقون والشهداء والصالحون، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وهذا يجعلنا نتعرف على المسؤوليات المنوطة بنا شرعا، ونربي عليها أنفسنا وأسرنا، وبها يقوم المجتمع الإسلامي، ويمارسها واقعا عمليا على قدر الطاقة، ومن خلال الوسائل التي تستخدم في تحقيق الأهداف، ويحسن أن نقدم للقارئ الكريم مثالين لتوضيح ما أسلفنا القول فيه:

المثال الأول: ما وردت الإشارة إليه في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ وقلنا: أعلاهم الأنبياء والمرسلون، حصل لهم ما حصل من الكرامة والنصر والجزاء في الدنيا والآخرة، لأنهم حققوا الجانبين المتلازمين في التربية: الجانب المعرفي النظري، والجانب التطبيقي العملي، فصبروا وصابروا، وقد فصّل الله ذلك في سورة الصافات، إذ ذكر نبيه نوحا عليه السلام، وذكر من ثمرة معرفته بالله، وتطبيقه عمليا لعبادة ربه، أن استجاب الله دعوته[1] فحصلت له ولأهله النجاة[2] وختم الله ذلك بقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي

---

[1]) قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ ﴾ سورة الصافات.

[2]) قال الله تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ ﴾ سورة الأنبياء.

ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ [1] وهكـــذا ذكـــر الله ﷻ الرســـل وأثنى عليهم واحدا واحدا، فذكر إبراهيم وتاريخه، ومـا لقي من المحن، وخـتم بقولـه تعـالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ [2] ثم ذكر موسى وهارون ونجاتهما من فرعون وقومه، وخـتم بقولـه تعـالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ [3] ثم ذكر إلياس وقصته مع قومه، وختم بقوله سـبحانه وتعـالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ [4] ومن هذا نعلم أن الله ﷻ ذكـر ذلـك تربية لنبينا محمد ﷺ، وتعليما لأمته أن الله ﷻ يجعـل الثناء للمجاهدين الأبطال من المكافآت العاجلة، وذلـك لإقتدائهم بأنبياء الله ورسله، واستقامتهم على منهج الله، ومن هذا يجب على الأمة الإسلامية أن تعلـن فـضل الفضلاء من أبنائها، وأن تشيد بعلم العلماء منهم، وحكمة الحكماء، وجهاد الأبطال الذين يعلـون كلمـة الله فـي

---

[1] الآية (٧٩) من سورة الصافات.

[2] الآية (١٠٩) من سورة الصافات.

[3] الآية (١٢٠) من سورة الصافات.

[4] الآية (١٣٠) من سورة الصافات.

الأرض، من أمثال الأئمة الأربعة، ومن تلاهم من علماء الطب والفلك، والرياضيات، والكيمياء، ومن بعدهم من المجاهدين من أمثال صلاح الدين، وشيخا الإسلام ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم كثير، وعلى الأمة الإسلامية أن تقوم بنشر فضائلهم، وكشف محاسنهم التي خدموا بها أمتهم الإسلامية، لتقتدي بهم الأجيال المتعاقبة، لكن الأمة الإسلامية اليوم صرفت هذا لأصحاب الرقص والغناء، وغيرهم ممن لا يتفق عملهم مع كتاب ولا سنة، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

المثال الثاني: ما وردت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ وقعوا في الضلال المبين، وهو ما قص الله ﷻ عن أهل النار ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ ﴾[1] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٧٣ ﴾[2] أنذرهم لشذوذهم في الفكر والسلوك وعدم قبولهم الدعوة التي جاء بها الرسل، فاشتغلوا بالهوى والشهوات، وغرتهم الأماني، وهذا حال الأمة

[1]) الآية (٢٧) من سورة الصافات.

[2]) انظر الآيات من (٥٠ ــ٧٣) من سورة الصافات.

الإسلامية اليوم في غالب أمرهـــا، سُــلبت مقدســاتها، انتهكت الأعراض في كثير من بلاد المسلمين، تطـــاول الكذبة من أعداء الإسلام،على كتاب الله ﷻ، وعلى سنة رسوله ﷺ، (والمليار) من المسلمين يتفرجون، ويحوقل[1] الصالحون منهم.

من هذا المثال يجب أن يعي المسلمون الخطر المحدق بهم، حينما تكون الأهواء دستورا والـــشهوات منهجـــا، وحرية الفكر لا حدود لها، أو مطموسة وممنوعة مـــن قول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هنا نعلم أهمية طلب الهدايـــة والتوفيـــق، وأنهـــا من أعظم الوسائل لتحقيق الغايات النبيلة، فقوله تعـــالى:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ إدراك الغاية وهي:

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ بسبب طلب الهداية، وقصة أصحاب الكهف[2] من أبرز الأمثلة علـــى ذلـــك، ومن السنة قصة أصحاب الغار[3] والسبعة الذين يظلهـــم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله[4] كان ثمرة لتحمل

---

[1]) الحوقلة: أن يقول الإنسان: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا ما يملكه الصالحون اليوم، وهي معهم في الرخاء والشدة، وهي كنز من كنوز الجنة، وقد صح هذا عن رسول الله ﷺ.

[2]) انظر (القرآن الكريم، سورة الكهف، الآيات: ٩ ــ ٢٢).

[3]) أنظر: صحيح البخاري، حديث (٢٢٧٢).

[4]) انظر: صحيح البخاري، حديث (٦٦٠) وإحالاته.

المسؤولية، والصبر عليها، فنتج عن ذلك ما حصل من العاقبة الحسنة، ودوام الذكر الحسن والثناء عليهم إلى يوم الدين.
وهنا نلحظ قاعدتين تربويتين: تضمنتهما سورة الفاتحة ؛ وهي أن التربية لا تقوم إلا على **أساسين هامين:** هما منهجان إسلاميان تربويان يجب اعتمادهما في حياة الفرد والجماعة:

١. **الرحمة:** وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ وقد جعل الله تعالى هذا الجانب من التربية غريزة في الأم، فان الطفل يجد عندها الحنان والرأفة والرحمة في منتهى صورها، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **(لله أرحم بعباده من هذه بولدها)**[1].

٢. الثواب والعقاب: وهو أساس هام في التربية، له دور بارز في البناء والإصلاح، ونشؤه العدل، والعدل وفيه الشدة وإعطاء كل ذي حق حقه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ الجزاء والحساب، وقد جعل الله ﷻ هذا الجانب غريزة في الأب، فانه أحزم في تربية الابن من الأم وأحكم، وهذا يستدعي التوازن في التربية، فلو جعل الأبوين رحمين مطلقا لفسدت التربية، ولو جعلهما شديدين لفسدت أيضا.

[1]) أخرجه البخاري، حديث (٥٩٩٩).

ومن هنا نستنتج أن سلوك الوسطية جانب تربوي أيضا، يجب توجيه المسلمين إليه أفرادا وجماعات، شعوبا وحكومات، وذلك لازم في شؤونهم الدينية والدنيوية، وهذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾.

وبالجملة فآثار تربية الله ﷻ الفائضة على كل فرد من أفراد الموجودات في كل آن غير متناهية، ويمكن لممعن النظر أن يكشف من أسباب التربية وأسرارها التي أودعها الله في خلقه الشيء الكثير، فسبحان الرب الخالق ما أعظم شأنه، وما أقوى حجته وبرهانه، نسأله تعالى الهداية إلى مناهج العلم والمعرفة، ونسأله العون والتوفيق لأداء حقوق نعمه، لا نحصي ثناء عليه، لا إله إلا هو، نستغفره ونتوب إليه.

النظرة الثامنة عشرة
أقسام الناس حسب فهم الفاتحة

قبل الشروع في الحديث عن أقسام الناس حسب فهمهم للفاتحة، ومعرفتهم بما تضمنت من مقاصد ودلالات، نرغب في بيان أنه من المهم إيراد هذا الفصل، عقب ما ذكرنا من صلة الفاتحة بأمور الدنيا والآخرة، حتى لا

يتصور أحد أن هذه الآية حمّلها العلماء ما لم تتحمل، من احتواء العلوم الشرعية والكونية، والناس يقرؤونها ولا يلحظون ما ذكر المفسرون، ويكررونها صباح مساء ولا يتهيأ لهم ما يصفونها به، وأن ما ذكره العلماء ورد استطرادا لا استنباطا، وتطويلا لا تأويلا، وتعليما لا تفسيرا، وإكثارا لا استخراجا، **فنقول:** تمهلوا فإن الأمثلة تزيد الأمر وضوحا وتكسبه جلاء، فتساعد على الفهم والاستيعاب، فلو صورنا سورة الفاتحة بجنة خلق الله فيها من أنواع الثمار والفواكه، وأعطى من البهجة والخضرة ما لا يتصوره خيال، على حد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[1] فلو جمع الله هذه المذكورات وغيرها من الثمار والأشجار والأزهار في

[1]) الآية (٩٩) من سورة الأنعام.

مكان واحد، ونظر إليها وتجول فيهــا ثلاثــة عقــلاء، متفاوتو القدرات **وهم:**

مهندس خبير في الزراعة والأشجار والنباتات، **وفلاّح،** **وطفل** صغير.

ونوع رابع هو: دابة يستخدمها الفلاح في خدمته وخدمة مزرعته، كيف يكون فهم ما حوت المزرعة في نظــر كل واحد من الأربعة؟، فهل يكون هؤلاء والحقل أمامهم متفقين في الرأي والفكر بالنسبة لكل مــنهم،؟ كــلاّ إن الأمر مختلف قطعا.

وبيان أقسام الناس على نحو ما يلي:

إن المهندس الزراعي الخبير بالري وشئون الزراعــة، وما يصلحها، وما يفسدها، وفق علم عميــق ودراســة دقيقة، وتجارب مخبرية عديدة، يكون وهو أمام الحقــل واسع الأفق، كبير المعاني، عالما بقدرة ربه ورب كــل مخلوق**(رب العالمين)** وبما له في هذا المنظر من أسرار الخلق والتكوين، يتجلى منه عظمة الخالق سبحانه.

وهذا يمثل القسم الأول من أقسام الناس: وهــم الــذين عرفوا ســورة الفاتحــة، وعلمــوا فــضلها، وخبــروا مقاصدها، وفهموا دلالاتها الظاهرة والضمنية، فكانــت عندهم بمنــزلة القلب من الجسد، إذا توقف عن العمل، توقفت الحياة عن سائر الجسد، فجرى حرصــهم علــى العمل بالفاتحة نصا وروحا، وكانوا مضرب المثل فــي الفهم النظري، والتطبيق العملي، وهؤلاء هم أصــحاب رسول الله ﷺ الذين ربّاهم على وحي ربه، وأرشــدهم

إلى العمل بسنته ﷺ، فكانوا الصفوة المختارة، ليقتدي بهم من بعدهم من التابعين، فهم العدول المبلغون عن الله ورسوله، وهكذا يتكامل هذا الصنف الواعي جيلا بعد جيل، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أخرج الإمام البخاري من حديث المغيرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله، وهم ظاهرون**)[1] المعنى المراد منه العبادة والاستقامة على الحق، وهذا أشبه **بذلك الفلاح**، الذي يقبل على حقله وينظمه ويقوم على شؤونه في حدود علمه ولاشك أن المفسر للقرآن، العالم بمعانيه ومقاصده أرقى بكثير من العابد، فهو أشبه بالمهندس، والعابد أشبه بصاحب الحقل.

أما الطفل فإنه يقصر عن الاثنين قصورا بينا، فالصبي يروقه منظر الحقل وجماله، وتعجبه أشجاره وأزهاره، ويشتاق لفواكهه وثماره، لكنه لا يفقه من أسرارها شيئا، ولا يعلم كيف وجدت، فهذا مثل القسم الثالث من أقسام الناس: وهم الجهلاء من المسلمين عامة، الذين لا يحسنون فهم الفاتحة، وربما رددوها بتحريف وتصحيف، وإذا سألت أحدهم عن كلمة منها أهي على هذا الوجه، أو على وجه آخر؟، لما عرف الصواب من الخطأ وربما اختار الخطأ فصوبه. وهذا الصنف هم الكثرة الكاثرة، ويدخل فيهم المبتدعون من أصحاب

---

[1]) أخرجه البخاري، حديث (٧١).

القبور، ودعاة الأولياء والصالحين، وغيرهم، فلو عرفوا معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ما وقعوا في بدعة قط.

وكم أخشى على كثيرين من القـرّاء، الذين يفرحون بنغماتهم بالقرآن في المآتم، والأعراس، والحفلات العامة والخاصة، وكم من محفل يفتتح بالقرآن وفيه من مخالفة الكتاب والسنة ما الله به عليم، فهل عرف أسرار الفاتحة مثل هؤلاء؟!.

أما الدابة: فإنه لا يعنيها من ذلك إلا حاجتها، كل تلك الصورة الجمالية وما فيها من أسرار الخلق والتكوين لا تعنيها في شيء، كل ما تعرفه أن هذا يروق لها أكله، تأكل منه ما تشاء، وتطأ ما تشاء، ولا شيء وراء ذلك، فهذا مثل القسم الرابع من أقسام الناس: وهم الذين فارقوا شرع الله، واتبعوا الهوى، فأصبحوا كالأنعام بل هم أضل، وهم اليهود والنصارى ومن سار في ركابهم أوتشبّه بهم، ولم يعر الإسلام أذنا ولا رفع به رأسا.

ومعلوم أن فاتحة الكتاب يقرؤها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وأكثرهم بها جاهلون، لا يعقلون معانيها ولا يعرفون مقاصدها، ولذلك تكالب عليهم الأعداء وهم في غفلةٍ معرضون، والعلم مفتاح التفكّر والتدبّر، إذ أن العلماء هم الذين يعرفون أسرار الأشياء،

بما علمهم الله من البحث والنظر، ولذلك حفل كتاب الله وسنة رسوله بالثناء عليهم والإشادة بهم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[1] ويقول تعالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[2] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[4] وغير ذلك، فعالم الكتاب والسنة يعقل مرامي الآيات، ومقاصد الأحاديث، وعالم النبات يعقل ما أودع الله فيه من أسرار الخلق والتكوين، وعالم الطب يعقل ما في الأجسام من عجائب الخلق، وكذلك الدارسون للشريعة الإسلامية يعقلون ما فيها من الحكم، وهم بعلم الفاتحة وعقل ما فيها أحرى، فالقرآن والسنة مثل ضوء الشمس منتشر في الجو، لكنه لا يظهر إلا على سطح الأرض، أو على جسم قابل، والهواء لا يعكس ضوءها، لذلك لا يراه الطائر في الجو، كذلك

---

[1]) الآية (٢٨) من سورة فاطر.

[2]) الآية (٤٣) من سورة العنكبوت.

[3]) الآية (٩) من سورة الزمر.

[4]) الآية (١١) من سورة المجادلة.

الأفئدة الخالية من العلم والحكمة، يمر بها القرآن والسنة فلا تشعر بمعانيه، فأم الكتاب يقرؤونها صباح مساء، ولا يدركون ما فيها من الضياء المشرق، ولا نشك في أن هذا العصر صالح لظهور المقصود من القرآن الكريم في بلاد الإسلام، إذا ما توجه المسلمون لذلك وعالجوا جميع قضاياهم من خلال الكتاب والسنة ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1].

النظرة التاسعة عشرة
حكم الاستعاذة

أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن، ولا آية منه، وهو قول القارئ: (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**) وهذا اللفظ هو الذي عليه الجمهور من العلماء، لأنه لفظ كتاب الله تعالى[2] في التعوذ، قال الله ﷻ:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[3] والفاتحة قرآن، والشيطان أحرص ما

---

[1]) الآية (٤٠) من سورة الحج.
[2]) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٨٧).
[3]) الآية (٩٨) من سورة النحل.

يكون على إيذاء المسلم في صلاته، لأنه إذا أفسدها عليه فقد نال ما تمنى، لذلك ورد النص على قراءتها في الاستفتاح عند الدارمي[1] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فكبر قال: **(سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه، ونفثه، ونفخه)**[2] ثم يستفتح صلاته.

وأخرجه أبو داوود وابن ماجه وابن حبان من حديث جبير بن مطعم ﷺ واللفظ لا بن ماجه قال: رأيت رسول الله ﷺ حين دخل في الصلاة قال: **(الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا ـ ثلاثا ـ الحمد لله كثيرا، الحمد لله كثيرا ـ ثلاثا ـ سبحان الله بكرة وأصيلا ـ ثلاث مرات ـ اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه، ونفثه، ونفخه)**[3].

---

[1]) سنن الدارمي، حديث (١٢٤٢) ونقد الحديث بعض العلماء، وأعله بعلي بن علي بن نجاد الرفاعي، والصواب أن الحديث لا ينزل عن الحسن، فله شواهد، وعلي المذكور، وثقه غير واحد كما ذكر الذهبي في الكاشف (٢/٢٩١) وقال ابن حجر: لا بأس به، ويقال: كان يشبه بالنبي ﷺ.

[2]) ورد تفسير هذه الكلمات عند الدارمي عقب الرواية، وكذلك عند أبي داوود وابن ماجة، همزه: المؤتة (وهي الجنون) ونفثه: الشِّعر، ونفخه: الكبر.

[3]) عند أبي داوود: قال عمرو: لا أدري أي صلاة هي.

وقد جاء ما يدل على تعلق هـذا بالـصلاة مباشـرة، أخرجه الإمام مسلم[١] من حديث عثمان بن أبي العـاص رضي الله عنه، أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الـشيطان قد حال بيني وبين صلاتي، وقراءتي يلبسها عليّ، فقال الرسول ﷺ: (**ذاك شيطان يقال له خِنْزِبَ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثـا**) قال: فقلـت ذلك فأذهبه الله عني.

وأخرج ابن ماجة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمـزه، ونفخـه، ونفثه**)[٢] فنحن مأمورون بمحاربة عدونا الـشيطان فـي جميع الأحوال عند القراءة سواء في الصلاة أو غيرها[٣]

[1]) في الصحيح، حديث (٦٨).

[2]) سنن ابن ماجة، حديث (٨٠٨) وصححه الألباني (صحيح ابن ماجة١/١٣٥).

[3]) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (أن رسوا الله ﷺ يقـول قبـل القراءة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٦/٢، رقم٢٥٨٩) وأخرجه أبـو داود فـي الـسنن (٤٩٠/١) كتاب الصلاة، باب (١٢١) حديث (١٢٢) وحـديث أبي أمامة رضي الله عنه (كان رسول الله ﷺ إذا خل في الصلاة من الليل كبر ثلاثا، وسبح ثلاثا، وهلل ثلاثا، ثم يقول: إني أعوذ بك مـن الشيطان الرجيم) أخرجه الإمام احمد (المسند٢٥٣/٥) وحديث جبير بن مطعم رضي الله عنه في الاستعاذة في الصلاة، أخرجه أبـو داود، حديث(٧٦٤) .

وإذا أصبحنا وأمسينا[1] وعند دخول المسجد[2] وعند ثورة النفس، وعند حدوث الغضب[3] وعند ثورة النفس، وحتى عند معاشرة الزوجات[4] فندعو كل مسلم إلى الحرص على الاستعاذة في مستهل القراءة في الصلاة، فريضة أو نافلة، وقد نقل القرطبي قول المهدوي: أجمع القراء على إظهار الاستعاذة، في أول قراءة سورة (**الحمد**) إلا حمزة فإنه أسرَّها[5] وهذا إجماع منهم على قراءتها في أول سورة (الحمد) وهذا ما نراه لكل مسلم القراءة بها

---

[1]) حديث معقل بن يسار ﷺ (من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ..) الحديث أخرجه الإمام أحمد (المسند (٥/٢٦) وحديث أبي هريرة ﷺ في أمره ﷺ لأبي بكر أن يقول إذا أمسى وإذا أصبح: ..أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه) أخرجه أبو داود، حديث (٥٠٦٧) والترمذي حديث (٣٣٩٢).

[2]) حديث عبد الله بن عمر بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ (أنه كان إذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) أخرجه أبو داود، حديث (٤٦٦) .

[3]) حديث سليمان بن صرد ﷺ أخرجه البخاري، حديث (٣٢٨٢، ٦٠٤٨) وأخرجه مسلم، حديث (٢٦١٠) وأخرجه أبو داود من حديث معاذ ﷺ، حديث (٤٧٨٠).

[4]) حديث ابن عباس ﷺ (اللهم جنبنا الشيطان..) أخرجه البخاري، حديث (٣٢٧١) وهذه النصوص وإن تكلم النقاد في بعض رواتها فهو كلام لا يخرج عن حد القول بتظافر الروايات وأنها لا تقل عن درجة الصحيح لغيره.

[5]) الجامع لأحكام القرآن (١/٨٧).

في سورة (**الفاتحة**) فإن اقتصر بعد ذلك على البدء بها في الركعة الأولى فحسن، وإن قرأها في كل ركعة كان أحسن، ومعلوم ما ورد من الترغيب في الاستعاذة في غير الصلاة، لما فيها من الحرز والحصانة، وهو مما يحرص عليه المسلم، فإن في الاستعاذة إشارة إلى نفي ما لا يجوز من العقائد والأعمال[1] وهذه حصانة للروح قبل حصانة الجسد.

النظرة العشرون
تفسير الاستعاذة

معنى الاستعاذة: الاستجارة، وتأويل قول القائل: (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**) أستجير بالله من الشيطان، أن يضرني في ديني، أو يصدني عن حق يلزمني لربي ﷻ[2].

تأويل قوله: (**من الشيطان**): الشيطان في كلام العرب: كل متمرد من الجن والإنس والدواب، وكل شئ. قال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾[3] فجعل من الإنس شياطين مثل الذي جعل من الجن، ولما ركب عمر بن الخطاب

---

[1]) انظر : التفسير الكبير (١/٥).
[2]) جامع البيان عن وجوه القرآن تأويل القرآن (١/١١١).
[3]) الآية (١١٢) من سورة الأنعام.

ﷺ **(برذونا)** [1] فجعل البرذون يتبختر به، أخذ عمر ﷺ يضربه فلا يزداد إلا تبخترا فنزل عنه وقال: **(ما حملتموني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي)** [2] وهذا يلفت النظر إلى دقة عمر ﷺ في مراقبة أحوال نفسه.

وقد سمي المتمرد من كل شئ شيطانا، لمفارقة أخلاقه وأفعاله، أخلاق سائر جنسه وأفعاله، وبعده عن الخير، وقول القائل: شطنت داري من دارك: أي بعدت، ومنه قول نابغة بني ذبيان:

نأت بسعاد عنك نوىً شطون فبانت والفؤاد بها رهين [3]

تأويل قوله: ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾:

الرجيم: الملعون المشتوم؛ وكل مشتوم بقول رديء أو سب فهو مرجوم، وأصل الرجم: الرمي بقول كان أو فعل، ومن الرجم بالقول: قول أبي إبراهيم، لإبراهيم

---

[1]) البرذون: الدابة، وسَيْرَته (البرذنة) والأنثى (برذونة).
قال الشاعر:
رأيتك إذ جالت بك الخيل جولة وأنت على برذونة غير طائل
لم أقف على قائله وهو في (لسان العرب١٣/٥١، ١٤/٢٩٤).

[2]) أسنده أبو جعفر الطبري (جامع البيان١/١١١) رجاله ثقات وهشام بن سعد حسن الحديث وهو من رجال مسلم.

[3]) للنابغة الذبياني في (ديوانه ص٧٢).

عليه السلام: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾[1]
وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان: رجيم، لأن الله جل ثناؤه طرده من سماواته، ورجمه بالشهب.

النظرة الحادية العشرون

القول في تفسير: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾

إن قول الله ﷻ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾
هي الآية الأولى على ما نراه راجحا من أقوال العلماء رحمهم الله، فالله سبحانه وتعالى أدب نبيه محمداً ﷺ، بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وأقواله وجميع مهامه، وجعل النبي ﷺ ما أدبه به ربه تعالى سنة لأمته يستنون بها، وسبيلا يتبعونه عليها، فباسمه تعالى يكون افتتاح أوائل منطقهم، ومطالع رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: **(بسم الله)** من مراده الذي هو محذوف[2] فأصبح المسلم ذاكراً لله ﷻ في كل شؤونه، فيقول: **(بسم الله)**[3] أقرأ و**(بسم الله)** أكتب، وأقعد وأقوم، وأنام

---

[1]) الآية (٤٦) من سورة مريم.
[2]) جامع البيان (١/١١٤) بتصرف.
[3]) تكتب بغير ألف (بسم الله) استغناء عنها بباء الإلصاق، في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال، بخلاف قوله تعالى: ﴿ اقرأ

وأصحو، وأدخل وأخرج، وآكل وأشرب، وأسافر وأعود وغير ذلك من الأقوال والأفعال، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾[1] وقال رسول الله ﷺ: (**أغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وخمّر**[2] **إناءك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله**)[3] وقال ﷺ: (**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن قدر بينهما ولد في ذلك، لم يضره شيطان أبداً**)[4] وقال لعمر بن أبي سلمة: (**يا غلام سم الله وكل بيمينك**)[5] وقال: (**إن الشيطان**

باسْمِ رَبِّكَ ﴾ الآية (١) من سورة العلق، لم تحذف الألف لقلة الاستعمال (جامع البيان ٩٩/١).

[1]) الآية (٤١) من سورة هود.

[2]) التخمير: التغطية، ومنه خمرت المرأة رأسها ووجهها: إذا غطتهما وسترتهما، والوكاء: الحبل الذي يشد به فم السقا (القربة).

[3]) أصله في الصحيحين من حديث جابر ﷺ بالشطر الأول منه، انظر: صحيح الإمام البخاري، حديث (٥٦٢٣) وصحيح الإمام مسلم، حديث (٩٧).

[4]) أخرجه الإمام البخاري، حديث (٣٢٧١).

[5]) أخرجه الإمامان البخاري ومسلم من حديث عمر بن أبي سلمة، انظر: صحيح الإمام البخاري، حديث (٥٣٧٦) وصحيح الإمام مسلم، حديث (١٠٨).

ليستحل الطعام إلا بذكر اسم الله عليه)[1] وقال: **(من لم يذبح فليذبح بسم الله)**[2].

إن ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ يتبرك بها كل مؤمن ومؤمنة، ويحرص كل منهما على أن يكون ذكرها دائما على لسانه، حتى عند عثور الدابة، أو اصطكاك القدم يبادر إلى قول: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾

أخرج أبو داود بسند رجاله ثقات، من حديث رديف النبي ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته فقلت: تعس الشيطان، فقال: **(لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت ذلك تعاظم، حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب)**[3].

---

[1]) أخرجه الإمام مسلم، حديث (١٠٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

[2]) أخرجه الإمام مسلم، حديث (١، ٢، ٣) من حديث جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه، وهو عند البخاري من حديثه دون التسمية (صحيح البخاري، حديث (٥٥٦٢) لكنها في رواية أبي عوانة كما ذكر الحافظ في الفتح (٥٣٧/١٢) وللمزيد لمن رغب ينظر الجامع لأحكام القرآن (٩٧/١).

[3]) في سننه (٤٩٨٢) وانظر الجامع لأحكام القرآن (٩١/١، ٩٢) وعزاه للنسائي وكذلك عزاه المنذري، وهو في اليوم والليلة كما في تحفة الأشراف ١٦٥/١١ حديث (١٥٦٠٠).

فإذا علم ما تقدم بيانه وتدوينه فإن ما تنشرح إليه النفس هو قراءة ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ وأنها آية من سورة الفاتحة، فيقرأ بها سرا في الصلاة عملا بما ثبت من حديث أنس وغيره، وإلى هذا ذهب جمع من الصحابة والتابعين والأئمة العلماء من بعدهم، منهم عمر، وعلي، وابن مسعود، وعمار، وابن الزبير، رضي الله عنهم، وهو قول الحكم وحماد، وبه قال الإمام أحمد بن حنبل، وأبو عبيد، وروي عن الأوزاعي، وذكره القرطبي وقال: هذا قول حسن وعليه تتفق الآثار عن أنس ولا تتضاد، ويخرج به من الخلاف في قراءة البسملة[1] ولم نتعرض لأقوال العلماء في الإبانة عن الاسم، أهو المسمى أو غيره، أو صفة له؟، وما ذهب إليه أهل الحق، أن الاسم هو المسمى[2].

تفسير لفظ الجلالة:

﴿ ٱللَّهُ ﴾: هو الذي يألهه[3] كل شيء، قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ ٱللَّهُ ﴾ ذو الألوهية والعبودية على خلقه

---

[1]) الجامع لأحكام القرآن (٩٦/١).
[2]) انظر (الجامع لأحكام القرآن١/١٠١، ١٠٢).
[3]) أي يعبده كل شيء ، قال رؤبة في ديوان١٦٥):
لله در الغانيات المده   سبحن واسترجعن من تألهي
أي من تعبدي، انظر (جامع البيان١/١٢٣).

أجمعين[١] وهذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم، ولم يتسم به غيره سبحانه.
ولذلك لم يثنّ ولم يجمع[٢].

تفسير: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ اسمان ــ يعني لله ــ رقيقان أحدهما أرق من الآخر[٣] ولكل اسم منهما معنى لا يؤديه الآخر، المعني الذي في تسميته عز وجل بـ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ أنه تعالى موصوف بعموم الرحمة لجميع خلقه، في الدنيا والآخرة، وتسميته تعالى بـ ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أنه تعالى موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ اسم مختص بالله

---

[1]) جامع البيان (١/١٢٣).
[2]) الجامع لأحكام القرآن (١/١٠٢).
[3]) معالم التنزيل (١/٣٨) وفي إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنه علتان:
١ ــ فيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس.
٢ ــ بشر بن عمارة ضعيف، وكلتاهما غير مؤثرتين في صحة المعنى، وإنما لا يقطع بأنه من قول ابن عباس رضي الله عنه.

ﷻ، لا يجوز أن يسمى به غيره، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[1] فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره، وقال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2] فأخبر تعالى أن الرحمن هو المستحق للعبادة، ومن أعجب العجب أن مسيلمة الكذاب أخزاه الله تسمى بـ **(رحمان)** اليمامة، ولم يتسم به حتى قرع مسامعه نعت الكذاب، فألزمه الله تعالى بنعت الكذاب لذلك، وإن كان كل كافر كذابا، فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علما يعرف به إلى يوم القيامة.

فالله ﷻ عمّ المؤمنين والكفار برحمته في الدنيا، فأعطاهم أعظم النعم وهي: إرسال الرسل، وإنزال الكتب، لهدايتهم إلى الخير، وهو ما تحصل به حياة القلوب والأرواح، وزادهم من الأفضال، والإحسان والبسط في الرزق، وتسخير السحاب بالغيث، وإخراج النبات من الأرض، وصحة الأبدان والعقول، وسائر

[1]) الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

[2]) الآية (٤٥) من سورة الزخرف.

النعم التي لا تحصى، والتي يشترك فيها المؤمنون والكافرون، كل ذلك من مقتضى اسمه تعالى **(الرحمن)** فربنا جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، رحمن جميع خلقه، في الدنيا والآخرة[1].

تفسير: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾.

تقدم القول بأنه تعالى موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه، وذلك في كل الأحوال، أو في بعض الأحوال، فالخصوص الذي في وصفه تعالى بـ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ لا يستحيل عن معناه في الدنيا، ويكون ذلك في الدنيا أو في الآخرة، أو فيهما جميعا، فإنه تعالى قد خص عباده المؤمنين في عاجل الدنيا، بما لطف بهم من توفيقه إياهم للطاعة، والإيمان به وبرسله، واتباع أمره واجتناب معاصيه، مما خُذِلَ عنه من أشرك به وكفر، ومن خالف ما أمره به، وركب معاصيه، وقد خص الله تعالى عباده المؤمنين في الآخرة بما أعد لهم في جناته، من النعيم المقيم، والفوز المبين، وخصهم برحمته العامة لهم في يوم الجزاء والحساب[2] نسأل الله

---

[1]) انظر توثيق ما تقدم في: (جامع البيان ١/١٢٣ ــ ١٢٨، والجامع لأحكام القرآن ١/١٠٦) بتصرف.
[2]) أنظر: جامع البيان (١/١٢٦) بتصرف.

عَجَلَّ أن يجعلنا من عباده المخصوصين برحمته، وفضله في الدنيا والآخرة.

النظرة الثانية والعشرون

تفسير ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنه: هو الشكر والاستخذاء[1] لله والإقرار بنعمته، وهدايته وابتدائه وغير ذلك[2] ومعناه: الشكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد سبحانه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه سبحانه، فصحح فيهم الآلات لطاعته، ومكن جوارح وأجسام المكلفين من أداء فرائضه، مع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخرا، ومن هنا جاءت (**الحمد**) معرفة بالألف واللام؛ لأن لها معنى لا يؤديه قول القائل: (**حمدا**) بإسقاط الألف واللام وذلك أن دخولهما في (**الحمد**) لاستغراق الجنس من

---

[1]) فيه معنى الانكسار والاسترخاء والذل، والخضوع والانقياد، أنظر (اللسان١٤/٢٢٥ ــ ٢٢٦، وترتيب القاموس٢/٢٥).

[2]) أسند أبو جعفر الطبري (جامع البيان١٤/١٣٥) وتكلم في إسناده.

جميع المحامد، والشكر الكامل لله ﷻ، فهو وحده يستحق الحمد بأجمعه، إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فله الحمد أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا على الوجه الذي يرضيه سبحانه، ولهذا العموم في معنى الحمد تتابعت قراءات القراء، وعلماء الأمة على رفع الحمد من ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ دون نصبها، الذي يحيل المعنى[1] وقد تقدم القول في معنى لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾.

﴿ رب ﴾: له معان كثيرة، والمراد به هنا: الخالق المالك الرازق، قال ابن عباس رضي الله عنه: يقول ـ يعني جبريل عليه السلام ـ: قل الحمد لله، الذي له الخلق كله، السماوات كلهن ومن فيهن، الأرضون كلهن من فيهم، وما بينهن، مما يعلم ومما لا يعلم[2].

﴿ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ جميع المخلوقات مما تقدم بيانه، مماعلم ومما لا يعلم، مالكهم الله ﷻ، وكل من ملك شيئاً فهو ربه، والرب: اسم من أسماء الله ﷻ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، ومن العلماء من قال: إنه الاسم

---

[1]) انظر توثيقه في (جامع البيان ١/١٣٥، ١٢٨ والجامع لأحكام القرآن ١/١٣٣) بتصرف.

[2]) انظر (جامع البيان ١/١٤٢، ١٤٣) في إسناده بشر بن عمارة : ضعيف، ومعناه صحيح.

الأعظم لكثرة الداعين به، فليتأمل ذلك في القرآن الكريم، كما في آخر سورة آل عمران، وسورة إبراهيم، وغيرهما لما يشعر به هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب، مع ما يتضمنه من العطف والرحمة، والافتقار إليه في كل حال[1].

النظرة الثالثة والعشرون

تفسير ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾

تقدم بيان ذلك في الآية الأولى، لكن من تمام القول في هذا أن الله ﷻ أعاد هذين الاسمين العظيمين من أسمائه الحسنى وكلها عظيمة لما يشعر به قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ من خوف ورهبة منه تعالى، فهو الخالق المالك المربي المتصرف، قرنه بعد ذلك بقوله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾ لما فيهما من الترغيب في رحمته تعالى وعفوه وكرمه، ليجمع ﷻ في صفاته بين الرهبة منه تعالى، والرغبة إليه سبحانه، وهذا منهج الثواب والعقاب في التربية، فيكون أكثر عونا على الطاعة، وأشد تأثيرا في المنع من المعصية،

---

[1]) أنظر الجامع لأحكام القرآن ١/١٣٦، ١٣٧).

كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[1] وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد)**[2] نسأل الله تعالى عفوه ورحمته، ونعوذ به من عذابه وسخطه.

النظرة الرابعة والعشرون

تفسير: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾

اعلم أنه لا يجوز لأحد أن يتسمى بهذا الاسم، ولا يدعى به إلا الله تعالى، فله الملك المطلق في الدنيا والآخرة، لذلك جاءت هذه الآية تذكر جميع الخلق الإنس والجن، أن الله ﷻ هو المتفرد مالك يوم الدين، وحده لا شريك له، فكما أن الله تعالى صاحب الملك المطلق في الدنيا، لكنه خول بعض عباده شيئا من صفة الملك في الدنيا، فمنهم سابق بالخيرات، ومنهم مقتصد، ومنهم ظالم لنفسه، اقتضت حكمته تعالى هذا الإيجاد في الحياة

---

[1]) الآيتان (٤٩، ٥٠) من سورة الحجر.
[2]) صحيح الإمام مسلم، حديث (٢٣) وانظر (الجامع لأحكام القرآن ١/١٣٩).

الدنيا، للابتلاء والامتحان، فكان الملك له خالصا يوم الدين، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[1]

أخرج الشيخان[2] البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض).**

ولما كانت الآخرة دار جزاء وخلود اختص الله ﷻ بالملك، لينال العباد جزاء سعيهم في الدنيا، ملوكاً وأمماً، على حد سواء، وسواءً كانوا إنساً أم جناً، وفي الآية والحديث من تنبيه الغافل، وتحريض النابه ما يجعلهما في غاية الحذر والتحسب لهذا الموقف العظيم، وليعلم العبد أنه في قبضة خالقه ينادى على رؤوس الأشهاد، لمن الملك اليوم؟، فيدفعه هذا إلى محاسبة النفس في الدنيا، إن كان من ذوي الألباب الموفقين.

❁ ❁ ❁

---

[1]) الآية (١٦) من سورة غافر.

[2]) البخاري، حديث (٤٨١٢) ومسلم، حديث (٢٣).

النظرة الخامسة والعشرون

تفسير: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾

يلاحظ القارئ هنا أن أسلوب الآيات تحول من الغيبة إلى الخطاب، ولا غرابة في ذلك، ففيه إشارة إلى أن العبد تشبعت روحه بمعرفة الله تعالى وربوبيته للمخلوقات، ومعرفة أسمائه وصفاته، فتحول الخطاب بناء على هذه المعرفة، كأن العبد يرى ربه فيخاطبه، غير شاك في ألوهيته وأسمائه وصفاته، على حد ما ورد في ركن الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه، ثم إن التحول من الغيبة إلى الخطاب أسلوب عربي معروف، والقرآن نزل بلغة العرب، ومن المعقول عن العرب، أن من شأنهم إذا حكوا، أو أمروا بحكاية، أن يخاطبوا ثم يتحولوا إلى الإخبار عن غائب، ويخبرون عن غائب ثم يعودون إلى الخطاب، لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب، كقولهم للرجل: قد قلتُ لأخيك، لو قمتَ لقمتُ، وقد قلتُ لأخيك، لو قام لقمتُ.

قال أبو كبير الهذلي:

يا لهف نفسي كان جِدةُ خالد

وبياضَ وجهكَ للتراب الأعفر[١]

ومنه قول لبيد بن ربيعة:

باتت تشكى إلي النفس مجهشة

وقد حملتكِ سبعا بعد سبعينا[٢].

وفيهما الرجوع إلى الخطاب بعد الغيبة، وهذا في كتاب الله ﷻ كثير[٣].

والمعنى: نخصك بالعبادة وحدك لا شريك لك، فنخشع ونذل ونستكين، ولا ريب أن الرجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة، والعبودية عند العرب الذلة تقول: طريق معبد، أي: مذلل قد وطئته الأقدام، وذللته السابلة: جعلته معبدا، ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

تُباري عتاقا ناجيات وأتبعت

وظيفا وظيفا[٤] فوق مور معبد[٥].

وقد قدم الضمير **(إياك)** في الجملتين للإشعار بخصوصية العبادة والاستعانة بالله وحده لا شريك له، ولئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود، فلا يجوز

---

[1]) منسوب لأبي كبير الهذلي، وليس في ديوان الهذليين.

[2]) في ديوانه (ص٢٢٥) وقال (قامت) وانظر: (جامع البيان ١/١٥٣، ١٥٤) بتصرف.

[3]) انظر سورة يونس (الآية (٢٢) وسورة الدهر (الآيتين ٢١، ٢٢).

[4]) المراد به هنا خف الناقة الموصوفة، وانظر (جامع البيان ١/١٦١).

[5]) في (ديوانه ص٣٥).

(نعبدك، ونستعينك) ولا **(نعبد إياك، ونستعين إياك)** فيجب إتباع لفظ القرآن، قال العجّاج:

إياك أدعو فتقبل ملقي   فاغفر خطاياي وكثر ورقي[١]

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾: أي بك يا ربنا نستعين على طاعتك وعبادتك، وعلى كل أمورنا في حالنا ومستقبل عمرنا.

اللهم إياك نعبد وحدك لا شريك لك، مخلصين لك العبادة، دون ما سواك من الآلهة والأوثان، فأعنا على عبادتك، ووفقنا لما وفقت له من أنعمت عليهم من أنبيائك ورسلك وأهل طاعتك، من السبيل والمنهاج[٢].

النظرة السادسة والعشرون

تفسير ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾

لما أكمل الله بيان الأحكام والحلال والحرام، وأقام الحجة بأوضح ما يكون البيان والبرهان، وجه عباده إلى طلب المزيد من الهداية والتوفيق والثبات كما قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: ألهمنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج فيه[٣] وهو دين الإسلام، وقد فسره بذلك جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال: **(الصراط**

---

[1]) في ديوانه (١/١٧٨) وفي الجامع لأحكام القرآن (١/١٤٥).

[2]) جامع البيان (١/١٦٧، ١٦٩).

[3]) أسنده أبو جعفر الطبري (١/١٦٦، ١٧٤).

المستقيم: هو الإسلام)[١] وعن النواس بن سمعان ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **(ضرب الله صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس أدخلوا الصراط جميعا ولا تفرقوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق واعظ الله تعالى في قلب كل مسلم)**[٢] قال الطبري: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن **(الصراط المستقيم)** هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو كذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

أمير المؤمنين على صراط   إذا اعوج الموارد مستقيم[٣]

يريد على طريق الحق، ومنه قول الهذلي أبي ذؤيب:

---

[1]) أخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك٢/٤٤٦) ووافق الذهبي.

[2]) أخرجه الإمام أحمد (المسند٤/١٨٢-١٨٣) وهو حديث حسن في إسناده الحسن بن سوار: صدوق، وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه (المستدرك١/٧٣) ووافق الذهبي.

[3]) في (ديوانه١/٢١٨).

صبحنا أرضهم بالخيل حتى تركناها أدق من الصراط[1]

النظرة السابعة والعشرون

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾

هذا بيان لنوع الصراط المطلوب الهداية إليه، والثبات عليه، وأنه كما قال ابن عباس: طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك، من الملائكة والنبيين، والصديقين والشهداء والصالحين، الذين أطاعوك وعبدوك[2] فيكون المعني به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته، ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك، من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم، لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه، من النبيين والصديقين والشهداء، فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به، والانزجار عما زجر الله عنه، واتباع منهج النبي ﷺ، ومنهاج أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم، وكل عبد الله صالح، ذلك من الصراط المستقيم[3].

---

[1]) منسوب لأبي ذؤيب الهذلي، وليس في ديوانه هذا البيت، وهو في تفسير القرطبي (١٠٣/١) وتفسير الطبري (١٧٠/١) والدر المصون (٦٤/١).

[2]) أسنده الطبري رحمه الله (جامع البيان ١٧٨/١).

[3]) أنظر جامع البيان (١٧١/١).

﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ وهنا يتكرر السؤال وطلب العافية، فكما سألوه تعالى أن يهديهم سبيل المؤمنين، سألوه تعالى ألا يضلهم، كما دعوه فقالوا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ ﴾[1].

والمغضوب عليهم: هم العصاة بمختلف معاصيهم، داخلون في غضب الله ﷻ بتفاوت، فأعلاهم اليهود، وأدناهم مرتكب الذنب، فالله ﷻ يغضب من عمل الذنوب وإن قلّت.

والضالون: هم الجهّال، أعلاهم النصارى، ضلوا طريق الحق، وأدناهم الجهال من العوام، الذين يجهلون أمور دينهم ودنياهم، وقد ذهب الجمهور من العلماء رحمهم الله إلى أن (**المغضوب عليهم**) هم اليهود لتكذيبهم وقتلهم الأنبياء بغير حق، ولقولهم في عيسى عليه السلام: إنه ابن زانية، فكذبوا الله، ورموا عيسى وأمه، وتجاسروا على الله سبحانه وتعالى فقالوا: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[2] وقالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ يَدُ اللَّهِ

---

[1]) الآية (٨) من سورة آل عمران.
[2]) الآية (١٨١) من سورة آل عمران.

مَغْلُولَةٌ ﴾[1] فباؤوا بغضب من الله، وهم رأس من غضب الله عليهم من عباده من الإنس، قال الله تعالى: ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[2].

أما الضالون: فقال الجمهور: هم النصارى لأنهم اتبعوا الهوى فضلوا في أمر عيسى عليه السلام، وقالوا بالتثليث فأفرطوا في اعتقادهم، وجاوزوا الحد في دينهم، وغلوا في أمر نبيهم المسيح عليه السلام، فقالوا: إنه إله، وزعموا أنه ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، قال الله عز وجل: ﴿ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[3].

أما المسلمون: فهم أصحاب الصراط المستقيم، والحمد لله كانوا وسطا بين اليهود والنصارى، فاعتقاد اليهود تفريط، واعتقاد النصارى إفراط، والمسلمون وسط بينهم، آمنوا بالله تعالى وما جاء به أنبياؤه ورسله.

اللهم أحينا مسلمين مؤمنين، وأمتنا مسلمين مؤمنين، وابعثنا مسلمين مؤمنين، غير خزايا ولا نادمين، والحمد

---

[1]) الآية (٦٤) من سورة المائدة.
[2]) الآية (٦١) من سورة البقرة، وفي آيات أخر من كتاب الله العزيز.
[3]) الآية (٧٧) من سورة المائدة.

لله رب العالمين وصلى وسلم وبارك على أنبيائه ورسله أجمعين.

النظرة الثامنة والعشرون
معـــنى آمـــين

أكثر العلماء على أن معنى آمين: اللهم استجب لنا، وضع موضع الدعاء، وهذا قولٌ حسن، فإن الله ﷻ جعل الدعاء في الفاتحة على نصفين، النصف الأول منها مجمع الثناء عليه تعالى، والنصف الثاني فيه مجمع حاجات العباد، وحسن أن يختم الثناء والدعاء بطلب القبول والاستجابة فكأن القائل: آمين يقول: اللهم استجب لنا يا ربنا ثناءنا عليك بما أنت أهله، ودعاءنا الذي به تقضي حاجاتنا، وتجعلنا من عبادك المقبولين، وقد كان الصحابة يختمون الدعاء بآمين.

في (**آمين**) لغتان:

١ــ المد على وزن (**فاعيل**) مثل (ياسين) قال الشاعر في المد:

آمين آمين لا أرضى بواحدة   حتى أبلغها ألفين آمينا[١]

٢ ــ القصر: على وزن (**فعيل**) قال الشاعر:

تباعد مني فطحل إذ سألته   أمين فزاد الله ما بيننا بعدا[٢]

---

[1]) لم أقف على قائله وهو في(تفسير ابن عطية١/١٣٢) وتفسير القرطبي (١/٩٠) والدر المصون (١/٧٧).

[2]) لجبير بن الأضبط في (تهذيب إصلاح المنطق ص٤٣٩).

وهي كلمة عربية لا ريب في ذلك، ومن شدد الميم فقد أخطأ[1].

النظرة التاسعة والعشرون
حكم قول آمين

ثبت عن رسول الله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**إذا أمن الإمام فأمنوا، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه**) وقال ابن شهاب: (**وكان رسول الله ﷺ يقول: آمين**)[2].

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخرجه مسلم وغيره: (**وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا : آمين يحبكم الله**)[3].

فهذه النصوص وغيرها في نظري دالة على وجوب قول: (**آمين**) بعد الفراغ من قراءة الفاتحة.

وقول القرطبي رحمه الله: ويسن لقارئ القرآن أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة، بعد سكتة على نون (**ولا الضالين**): آمين، ليتميز ما هو قرآن، مما ليس بقرآن[4] فيه نظر من حيث أن ما ورد من الأمر بقولها، لا

---

[1]) أنظر توثيق ما تقدم في (الجامع لأحكام القرآن ١/١٢٧، ١٢٨، وروح المعاني ١/٩٧) بتصرف.

[2]) متفق عليه: أنظر (البخاري، حديث (٧٨٠) ومسلم، حديث (٧٣ ــ ٧٦).

[3]) مسلم، حديث (٦٢) والجامع لأحكام القرآن ١/٩٧).

[4]) الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٧).

صارف له عن الوجوب إلى السنية. والثاني أن الفاتحة قرآن، وقد قرر ذلك رحمه الله بقوله: **(وأجمعت الأمة على أنها ــ** يعني الفاتحة ــ **من القرآن)**[١] فالقول بوجوبها هو الصحيح إن شاء الله، ولا يجوز تعمد تركها، ومن نسيها لا يجب عليه سجود السهو لقوله ﷺ: **(رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)** ولا يعارضه ما ورد فيه النص، وإن أراد بالسنية السكتة ذاتها، ففيه نظر لثبوت النص في المتفق عليه، أن من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه، فالمبادرة بآمين مطلوبة لذلك.

النظرة الثلاثون
أهمية قول آمين

أهمية قول آمين بعد قراءة الفاتحة واضحة مما ورد في النصوص الثابتة من أنها سبب في المغفرة، وقد أخرج أبو داود من حديث أبي زهير النمري[٢] خرجنا مع رسول الله ذات ليله، فأتينا على رجل قد ألحَّ في المسألة[٣] فوقف النبي ﷺ، يستمع منه فقال النبي ﷺ: **(أوجب إن ختم، فقال رجل من القوم: بأي شيْ يختم؟،**

---

[1]) الجامع لأحكام القرآن (١١٤/١).
[2]) أسد الغابة وذكر أن أبا زهير كنية لثلاثة اختلف العلماء فيهم فمنهم من عدهم ثلاثة، ومنهم من قال: إنهم شخص واحد وسماه يحي بن نفير (٢٠٢/٥).
[3]) يعني الدعاء.

قال: بآمين، فإنه إن ختم بآمين فقد أوجب) فانصرف الرجل الذي سأل النبي ﷺ فقال: اختم يا فلان بآمين وأبشر[1] وفي هذا أخبار لا تخلو من مقال وقد يعضّد بعضها بعضا[2].

النظرة الحادية والثلاثون
الجهر بآمين

الصحيح من أقوال العلماء رحمهم الله الجهر بآمين للإمام والمأموم، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة منها ما تقدم وعقد الإمام البخاري رحمه الله ترجمتين لذلك.

قال في الأولى: باب جهر الإمام بالتأمين وقال عطاء: آمين دعاء، أمن ابن الزبير ومن وراءه، حتى إن للمسجد للجة.

وكان أبو هريرة ينادي الإمام؛ لا تفتني بآمين[3].

وقال في الثانية: باب جهر المأموم بآمين[4] وذكر حديث أبي هريرة المتقدم في آخر المبحث الثالث.

---

[1]) سنن أبي داود، حديث (٩٣٨) وفي إسناده صبيح بن محرز مقبول.

[2]) أنظر: (الجامع لأحكام القرآن ١/١٢٧ـ١٢٨).

[3]) صحيح الإمام البخاري، حديث (٧٨٠).

[4]) صحيح الإمام البخاري، حديث (٧٨٢).

وأخرج أبو داود، والدارقطني[1] من حديث وائل بن حجر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ، إذا قرأ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ قال: (آمين) ورفع بها صوته، وأخرجه الترمذي وقال: حديث حسن[2] وقال أيضا عقب قول عطاء: وبه يقول غير واحد من أهل العلم، من أصحاب النبي ﷺ، ومن بعدهم، يرون أن يرفع الرجل صوته بالتأمين لا يخفيها، وبه يقول الشافعي، وأحمد، وإسحاق[3] ولا حجة قائمة لمن قال بالإسرار بآمين، بدعوى أنها دعاء، والله ﷻ يقول: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً ادْعُوا ﴾[4] لأنه يقال له ثبت ذلك من فعل رسول الله ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم، ثم إن إخفاء الدعاء إنما يكون أفضل لما يدخله من الرياء، أما ما يتعلق منه بصلاة الجماعة فشهودها، إشهار شعار ظاهر، وإظهار حق يندب العباد إلى إظهاره، وقد ندب الإمام إلى إشهار قراءة الفاتحة المشتملة على الدعاء والتأمين في آخرها،

---

[1]) سنن أبي داوود (٥٧٤/١) وأنظر سنن الدارقطني (١).
[2]) سنن الترمذي، حديث (٢٤٨).
[3]) أنظر: (الجامع لأحكام القرآن ١٢٩/١).
[4]) الآية (٥٥) من سورة الأعراف.

فإذا كان الدعاء مما يسن الجهر فيه فالتأمين على الدعاء تابع له، وجار مجراه وهذا بين[١].

النظرة الثانية والثلاثون
كيف يصل المسلم إلى أعلى درجات التقرب

إن المسلم مأمور باستشعار عظمة الله ﷻ، وقدرته سبحانه على الخلق والإحياء، والإماتة والبعث والجزاء، سيما في حال أداء العبادات، ومعروف أن الصلاة عليها مدار العبادات، وفيها مناجاة متكررة في كل وقت أوجب الله ﷻ أداء هذه الفريضة العظيمة فيه، قال الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝﴾[٢] ولما سئل رسول الله ﷺ عن الإحسان قال: (**أن تعبد الله كأنك تراه ،فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[٣] وهنا يلزم العبد تدبر ما يقرأ حتى يحصل الاستشعار، ويتم الخشوع، ويتحقق له قول الله ﷻ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝﴾[٤] فإذا ما قرأ الفاتحة متدبرا ظهر له من صفات الربوبية في قوله

---

[1]) انظر (الجامع لأحكام القرآن ١/١٢٠) بتصرف.
[2]) الآيتان (١، ٢) من سورة المؤمنون.
[3]) جزء من حديث أبي هريرة عند البخاري، حديث (٤٧٧٧).
[4]) الآية (١٩) من سورة العلق.

تعالى: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ومن صفات الرحمة في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ والملك في قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ وإخلاص العبادة في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ ما يجعل المسلم مستشعرا عظمة الله ﷻ، كأنه يراه، فيكون قلبه ولسانه يثنيان على الله ﷻ بجميع المحامد، وتكون الجوارح في سكون وخشوع كامل، إذ أنه من خلال النصف الأول من الفاتحة استشعر عظمة الله ﷻ، من خلال ثنائه وحمده الله تعالى، وذكره بالغيبة بأسمائه وصفاته، فلما كمل الاستشعار في قلبه وفكره، صارت تلك الصفات والمعاني في ذهنه في حكم المشاهد على حد قوله ﷺ: **(كأنك تراه)** فالتفت عن الغيبة إلى الخطاب ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ وبهذا الاستشعار وذلك التصور الذهني، والخشوع والتذلل الظاهر بين الجوارح، وصل قارئ الفاتحة إلى أعلى درجات التقرب والعبودية لله وحده لا شريك له، ولم يبق بعد هذا الوصول إلا الطلب من المعبود سبحانه،

﴿ إِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ والاستعانه هنا لها جانبان:

الأول: يخص الاستعانه به سبحانه وتعالى على القيام بما فرض الله ﷻ، على عباده من العبادات ومن العون عليها هدايتهم وتوفيقهم لها، ومدهم بالصبر والثبات عليها، قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ۝٣٥ ﴾[2] وفي ذلك حبس للنفس عما حرم الله.

الثاني: يخص الاستعانة به سبحانه على ما أباح للعباد من الطيبات من أمور الدنيا البحتة، كحفظ الصحة والكسب الحلال، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥ ﴾[3] وقال ﷻ: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ

---

[1]) الآية (٤٥) من سورة البقرة.
[2]) الآية (٣٥) من سورة فصلت.
[3]) الآية (١٥) من سورة الملك.

ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴿١٠﴾ ﴾[3] وجميع مهام الحياة، وهي تختلف باختلاف الناس، وما خوّلهم الله فيه من التمكين في الأرض، ابتداء من تهذيب النفس وإدارة أمور الأسرة الصغيرة، وانتهاء برعاية الأمة وحفظ حقوقها، وفيه تدخل جميع الحرف والصناعات، من صناعة الإبرة إلى بناء المفاعلات الذرية، لا يتم للمسلم شيء منها إذا لم يستعن بالله ﷻ، وإن حصل لغير المسلمين شيء من ذلك، فهو من المتاع الذي وعد الله به ﴿ وَإِذۡ

---

[1] الآية (٣٢) من سورة الأعراف.
[2] الآية (٢٠) من سورة المزمل.
[3] الآية (١٠) من سورة الجمعة.

قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1] فكونهم يصلون إلى شيء من ذلك المتاع في الصحة والمال والبنين والقوة في شتّى مناحي الحياة دون استعانة منهم بالله، فقد أخبر تعالى أنهم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾[2] وقد أمدهم الله بأسباب ذلك متاعا لهم، وهو استدراج لهم من الله، قال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾[3].

أما المسلمون فقد جمع الله لهم بين الدنيا والآخرة، إذا ما تمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم، ومن هنا وجب على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وشمالها وجنوبها، وفي كل شبر منها، شعوبا وحكاما، جماعات

---

[1]) الآية (١٢٦) من سورة البقرة.
[2]) الآية (٧) من سورة الروم.
[3]) الآية (١٧) من سورة الطارق.

وأفراداً، يجب عليهم العودة إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله، والعمل بهما نصا وروحا، سالكين المنهج النبوي، والخلافة الراشدة، حذو القذة بالقذة[1] آخذين بأسباب وحدتهم ، وقوتهم وعزتهم كما فعل أسلافهم، من الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم من الصالحين، من الملوك والقادة الفاتحين، إنهم إذا فعلوا ذلك يستطيع مبعوث المسلمين إلى غيرهم، أن يقول مثلما قال مبعوث سعد بن أبي وقاص ﷺ، الصحابي الجليل، النعمان بن مقرن، إلى يزدجرد ملك الفرس أيام حرب القادسية، في زمن الخليفة الراشد عمر ﷺ: (**إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا، يدلنا على الخير ويأمرنا به ـ إلى قوله ـ: وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين الإسلام، دين حسَّن الحسن، وقبّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر، هو أهون من آخر شرٌ منه: الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه، وعلى أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم، وشأنكم وبلادكم .... الخ**)[2] ولاستطاع أن يفعل مفاوض المسلمين مثلما فعل ربعي بن عامر ﷺ حينما دخل على رستم **بثياب صفيقة، وسيف وترس وفرس**

---

[1]) ريش السهم واحدتها: قذّة: أي: كما تقدر كل واحدة على قدر صاحبتها وتقطع، يضرب مثلاً للشيئين يستويان، ولا يتفاوتان. (النهاية٤/٢٨).

[2]) البداية والنهاية (٧/٥١، ٥٢).

قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، قال رستم: ائذنوا له، **فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها**، فقالوا له: ما جاء بكم؟، فقال: **الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..** الخ[1].

ولوقف موقف المغيرة بن شعبة ﷺ من رستم أيضا حينما هدد، واستشاط غضبا من المسلمين وأزبد وأرعد، وقال: أمرت لكم بكسوة ولأميركم ألف دينار وكسوة ومركوب.

فقال المغيرة ﷺ: **أبعد أن أوهنا ملككم، وضعفنا عزكم، ولنا مدة نحو بلادكم، ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون، وستصيرون لنا عبيدا على رغمكم)**[2].

وهذا غيض من فيض من مواقف المسلمين وقادتهم العظام، حينما كانوا مع الله ورسوله قلبا وقالبا.

إن العالم الإسلامي متخم بالدول الإسلامية، الواسطة الأرجاء، المالكة لكثير من الثروات، ذات الدور الفعال في قلب الموازين السياسية والعسكرية في العالم، يلقي

---

[1]) البداية والنهاية (٧/٤٩).

[2]) البداية والنهاية (٧/٥٠).

بثقل المسؤولية العظمى على الحكام والعلماء، والأعيان والحكماء تجاه دينهم ووحدتهم، وقوتهم وحضارتهم، ويوجب عليهم استغلال الثروات، ومعرفة العلوم والصناعات، ليحفظوا دينهم وحضارتهم، ويقيموا الوزن بالقسطاس المستقيم في شعوبهم، ويكونوا خلفاء الله في الأرض، محققين قول الله ﷻ: ﴿ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[2] وقول رسول الله ﷺ: **(مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد، بالسهر والحمى)**[3] بهذا يكونوا أولياء الله ﷻ، وخلفاؤه في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

---

1) الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.

2) الآية (١٠) من سورة الحجرات.

3) أخرجه مسلم، حديث (٦٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

الخاتمـــــــــة

إن من أعظم نعم الله ﷻ على هذه الأمة أن بعث منهـــا محمدا ﷺ، وأرسله إليها بالهدى ودين الحـــق، وجعلهـــا خير أمة أخرجت للناس، كرمها بخير رســـله، شـــرفها بدين الإسلام، المنهج الصالح لكل زمان ومكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو الصراط المـــستقيم، والمنهج القويم به يسعد البشر، في حياة مليئـــة بالعـــدل والمساواة، عامرة بالأمن والاستقرار، وقد تبين لي مـــن هذه النظرات الممتعة في هذه السورة العظيمة ما يلي:

١ ــ وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه بجميع المحامد.

٢ ــ أنه تعالى المتفرد بربوبيـــة عبـــاده، وســـائر المخلوقات.

٣ ــ كمال رحمته ﷻ لـــسائر خلقـــه فـــي الـــدنيا والآخرة.

٤ ــ التذكير بيوم الحساب والجزاء، وأن الله تعالى هو الملك الديان.

٥ ــ الإرشاد إلى طلب الهداية ووحدة الأمـــة فـــي المعبود والمتبوع والمنهج.

٦ــ التحذير من سبل أهل الشرك والزيغ والأهواء.

٧ ــ أن سورة الفاتحة من أعظم السور الموجهة إلى هذه المقاصد.

٨ ــ وجوب الاعتناء بهذه الأمور والتربية عليها من خلال الفاتحة وغيرها من كتاب الله تعالى.

٩ ــ وجوب تفهم الفاتحة فهي ركن من أركان الصلاة، ومن الأذكار النافعة في كل الأحوال.
١٠ ــ أن الفاتحة من أعظم شعارات وحدة المسلمين، اعتقادا وقولا وعملا، لا فرق بين عربي وغيره.

التوصيات

يجب على كل مسلم أن يهتم بالفاتحة تلاوة وفهما، فهي من أركان الصلاة، بصحة تلاوتها تصح الصلاة، وعلى المسلم أن يتعلم من كتاب الله وسنة رسوله ما لا يسعه جهله، ومن ذلك ما يلي:
١ــ نوصي كل مسلم أن يعلم أن الدين الإسلامي هو المنهج الأمثل لسعادة البشر.
٢ ــ نوصي كل مسلم أن يعلم أن الدين الإسلامي كفيل بنشر العدل بين الناس، وأنه ناجع في حل الأزمات والمشكلات، العارضة في حياة الناس، في كل زمان ومكان.
٣ ــ نوصي كل مسلم أن يعلم أن الإسلام دين التقدم والرقي، وأنه لا يحرم النظر والبحث في العلوم الكونية، ولا يمنع من تحقيق الأمن والسعادة من خلالها.
٤ ــ نوصي كل مسلم أن يعلم أن الإسلام منهج عبادة، ونظام عمل يدعو إلى التقوى والعلم والمعرفة والابتكار.
٥ ــ نوصي كل مسلم أن يعلم أن الخير فيما أمر به الإسلام، وأن الشر فيما نهى عنه ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا

فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١] وهذه الآية الكريمة وغيرها العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالله تعالى رقيب على أعمال عباده الخير منها والشر، وهو سبحانه بما يعملون عليم ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[٢].

المدينة النبوية في يوم الجمعة ١٥/٩/١٤٢٥هـ







---

[1]) الآية (١٠٥) من سورة التوبة.
[2]) الآية (٨٨) من سورة هود.

فهرس الموضوعات

